آيات مختار

رحيل ملاك

قصص

كيان كورب
دار ليلى

آيات مختار
رحيل ملاك
دار ليلى (كيان كورب)

النشر لمن يستحق

مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق، وتطورت الفكرة كثيرا، إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصا منها على استمرارها في دورها، وإيمانا منها -كما عهدتموها- بالشباب الموهوب..

لِيصبح بين أيديكم، هذا الكتاب.

الناشـــر

رحيل ملاك

آيات مختار

"منذ سنوات بعيدة جاءنا ملاك زائر.. جاء ليحيا بيننا.. استقبلناه بحفاوة مطلقة.. منذ لحظة قدومه الأولى أشاع البراءة والنقاء في بيتنا المتواضع.. كان حضوره مميز حقا.. استطاع أن يسلب قلوب الجميع بسحره وبراءته.. أحبته أمي حبا جما، وكذلك إخوتي أما أنا.. فقد كنت أراه شيئا آخر.. كنت أراه ملاكي الخاص بي..

أنا فقط..

ينشر براءته على العالم أجمع، إنما في النهاية.. أعلم أنه لي..

سنوات قضيناها معا لم نفترق مطلقا، ولو للحظات.. أول وجه تراه عيني في الصباح، وآخر من تغلق عيني عنه في المساء..

آيات مختار

رحيل ملاك

آيات مختار

رحيل ملاك

كيان كورب للنشر والتوزيع

دار ليلى

كيان كورب للنشر والتوزيع

(دار ليلى)

الكتاب:

رحيل ملاك

المؤلف:

آيات مختار

الغلاف:

محمد محمود

التنفيذ الفني:

حسام سليمان

التدقيق اللغوي:

ساره سالم

★★★

إدارة التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★

رقم الإيداع: 2011/13692

© جميع الحقوق محفوظة. وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع - دون موافقة كتابية - يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

الترقيم الدولي: 978-977-6386-44-0

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11

هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885295 (012) (002)

البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب) منذ ما يزيد عن 4 سنوات، قد أطلقت مشروعها (النشر للجميع.. ولمن يستحق)، والذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها، والتي أصبح البعض منهم كتّابًا محترفين بعد ذلك، أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة، لمعوا من خلالها..

ومع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة، وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها -الناشر والقارئ- على حد سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت -وبشدة- اقتصاديًا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرًا، إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصًا منها على استمرارها في دورها، وإيمانًا منها -كما عهدتموها- بالشباب الموهوب..

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها "النشر لمن يستحق" لفترة محدودة هذا العام، وعلى مراحل، وبشكل استثنائي، لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائجها، على رأسها:

– توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم، وأيضًا عبر دار نشر لها اسمها ولله الحمد، مع كبار الكتاب.

– تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب، حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد، مع هامش ربح خفيف، إضافة للغرض الأسمى، وهو أن يرى أعماله منشورة.

– تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب، عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية، كما هي عادة عقود دار ليلى.

– توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصري، الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى –عز وجل– أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح، وأن ينال مشروعنا رضاكم، وكلنا ثقة بأن كثير من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع، ستصبح –مثل سابقيها– بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدة.

الناشر

إهـــداء

إلى أمي.. كي تعلم أن الأحلام تتحقق يومًا ما..

وإلى كل أنثى تداعبها الأشواق والأحلام ولا تستطيع البوح بها..

آيات مختار

للتواصل مع الكاتبة

الإيميل:

ayatmoktar@yahoo.com

ayatmoktar@gmail.com

مدونة أحاسيس آيوشة

/http://ayoshaa2.blogspot.com

النشر لمن يستحق

مولد أنثى

"رحيل ملاك"

"فرق كبير بين أن تحبها لأنها جميلة، وأن تكون جميلة لأنك تحبها".

أنيس منصور

سأخبرك سرًّا.. اليوم.. وأمس.. وأول أمس وما قبلهما من الليالي، جاءنى طيفك العذب زائرًا.. تسلل إليَّ فجأة.. حط برحاله على شرفتي، واقتحم عزلتي الليلية عنوة دون استئذان.

لكن أتعلم أنني كنت أتوقع حضوره؟

فمنذ اللحظة الأولى.. ومنذ النظرة الأولى.. ومنذ الهمسة الأولى كنت أعلم أن طيفك سوف يلازمني دون فراق.. وسوف

يصبح زائري المرغوب فيه كل ليلة..

كل ليلة يأتيني ليؤنس وحدتي الكونية، ويبدد رتابة حياتي اليومية.. ويسلب من عيني النوم.. كنت أعلم أنه مولد الحب.. ولكني لم أكن أعلم أنه مولدي أنا أيضًا.. ومولد الأنثى بداخلي..

أمام المرآة ارتديتُ أجمل ثيابي.. أطلقت شعري الغجري الطويل بحرية ليداعب نسمات الهواء.. سكبت رشات خفيفة من قارورة عطري الوردي ذي رائحة الياسمين.. كحلت عيني وأهدابى بلمسات من الكحل الأسود الفاحم.. وصبغت شفاهي بلون الكرز الأحمر القاتم..

وجلست أتامل نفسي طويلاً أمام المرآة.. من هذه التي تقف هنا.. هل هذه بالفعل أنا.. هل هذه هي نفس المرأة التي تمرددت كثيرًا على قوانين الأنثى.. وثارت في وجه الوطن الذي طالما اختزل الأنوثة في جسد بض.. ووجه جميل.. وقوام ممشوق؟

الآن فقط أصبح بإمكاني أن أكون ما أريد.. أن أشعر بأنني

فراشة ربيعية.. أو زهرة برية.. حورية نورانية.. أو حتى راقصة غجرية.. الآن فقط باستطاعتي أن أتجسَّد بأعذب وأجمل الأشياء..

فالآن أصبح بإمكاني أن أتدلل.. أن أتجمل.. وأن أتغزل بنفسي في المرآة.. أن أعشق ذاتي.. أن أشعر بأني أجمل نساء الكون.. الحاضرة منهن والآتية..

والآن بوسعي أن أفيض أنوثة.. فأنا أصبحت أنثى في صوتي وبعذوبة كلماتي.. أنثى حتى في صمتي وفي همساتي.. أنثى في مكري وفي طهري.. أنثى ببسمة ثغري ونظراتي.. الآن أنا تلك الأنثى التي اختصرت كل نساء الكون فيها لأن طيفك معي، ما بالك لو صرت أنت بنفسك معي..

النشر لمن يستحق

ألاعيب امرأة

" رحيل ملاك "

كنا أطفالاً صغارًا.. لا يشغل عقولنا الصغيرة غير اللعب والتشبث بسنوات طفولتنا المتلاحقة قبل فوات الأوان.. وكانت هي مثلنا.. طفلة تلهو وتلعب.. ولكنها لم تكن يومًاطفلة عادية.. بل كانت طفلة بعقل امرأة ناضجة.. تتطلع دائمًا إلى سنوات العمر القادمة.. تستبق الأحداث.. تصارع السنين.. تحلم ليل نهار بموعد خروجها من شرنقة الطفولة لتصبح فراشة في عالم الكبار.

وها هي كبرت.. وصارت إلى ما تمنته دومًا.. امرأة بملامح طفولية تخدع بها من حولها.. طوال الوقت.. تتصنع البراءة.. تتمثل الطهر.. تتعامل بسذاجة الأطفال.. وأحيانًا أخرى بغباء مقصود.. فقد كانت طفلة بشغف امرأة.. والآن كبرت لتصبح امرأة بروح طفلة عنيدة.. لم تعطِ نفسها فرصة لتمارس طفولتها باقتدار.. فصارت تمارس نضجها بافتعال..

غابت عن ذاكرتنا أيام الطفولة وألعابنا الساذجة.. وبقيت هي تلهو وتلعب دون توقف.. تركت ألعاب الصغار التي عجزت عن إتقانها يومًا.. لتجيد ألاعيب النساء.

ولكي تصبح ألعابها أكثر تشويقًا ومتعة.. تبدأ باختيارها أكبر عدد ممكن من اللاعبين.. تغمض عينيها وتبدأ بالعد الذي لا ينتهي..

واحد.. اثنان.. ثلاثة...

هي لا تعرف النزاهة مطلقًا في ألعابها.. قد تغلق عينيها مرة.. ولكن كل حواسها الأخرى تراقب عن كثب.. تبدأ اللعبة بالبحث عنهم.. تتلذذ بتساقطهم واحدًا تلو الآخر.. تكره أول اللاعبين سقوطًا بين يديها.. فهم يفسدون متعتها ويقتلون روح التحدي بداخلها.. تترك لهم الفرصة للهرب منها.. ولكنها في الحقيقة تترك لنفسها فرصة لتهرب هي منهم..

دائمًا تتطلع إلى أفضلهم على الإطلاق.. من يجيد الهرب والاختباء والمراوغة.. لا تيأس أبدًا من طول الملاحقة.. فهي تعلم

جيدًا أن النهاية واحدة.. وأنه سوف يكون بين يديها قريبًا.. لتزهده وتبحث عن غيره.. ولتبدأ هي لعبة الاختباء منه.. ويبدأ هو لعبة البحث عنها..

قد تكون ماهرة في إتقان معظم الألعاب.. إلا لعبة واحدة.. هي الأهم في عالم الكبار.. لعبة من صنع القدر لا دخل لها مطلقًا في قواعدها.. لعبة سبقها إليها كثير من أقرانها وهي غافلة تلهو وتلعب.. وها هي ما زالت تقف في صفوف اللاعبين.. ترتدي ثوبها الأبيض.. تحمل دميتها الصغيرة بين ذراعيها.. في انتظار دورها الذي لا يأتي أبدًا..

النشر لمن يستحق

قلب هواه محرَّم

" رحيل ملاك "

مرت بضعة أيام على حديثهما الأخير.. الذي كان يخيم عليه الصمت أكثر من الكلام.. كان يكفي الصمت لينهي كل شيء.. ويدركا أن كل شيء بينهما قد مات..

مرت الأيام بطيئة.. تترقب هي مرورها كأنها طفل صغير تنتظر أمه سيره في لهفة.. وهو ما زال يحبو ويتخبط ويقع.. مرت الأيام ولا تعلم عنه شيئًا.. تحاول أن تتلمس أخباره من هنا وهناك.. لكنها كانت تعلم أنه يعاني.. حزين.. يتألم.. مجروح من سوء فعلتها.. يلعن قسوة قلبها.. وذلك الجرح المُحدَث في قلبه.. ذلك الجرح الذي تعلم جيدًا أنه لن يلتئم لفترة طويلة.. بل بمرور الوقت سوف يطبع هذا الجرح أثرًا لا يمحى بقلبه وذاكرته..

ولكنها لم تتأكد بعد من حجم ضررها على قلبه.. لأنها ببساطة حتى هذه اللحظة لم تتأكد من حجم وجودها في قلبه..

فطبيعة علاقتهما معقدة.. فأحيانًا يُشعرها بأنه الصديق المخلص الدائم بجانبها.. وأحيانًا الصغير الذي يبحث عن الأمان بين ذراعي أمه.. وحينًا آخر يعكس الأدوار.. فيعاملها كطفلته المدللة التي يخاف عليها من نسمات الهواء.. أو يتوجها ملكة نساء الأرض.. وكثيرًا لا تفهم طبيعة الدور الذي يُلبسه عليها..

عندما قررت الرحيل كان لها أسبابها التي لم تصرِّح بها له.. رأت حينها أنها يجب ألا تستمر في هذا الخدعة بإعطاء الأمل الكاذب لقلبه المتعب حتى النهاية.. لينسج الأحلام حوله كيفما يشاء.. فقد سئمت الأدوار الكثيرة التي تؤديها.. وهي لا تعرف أي دور تجيده بحق.. وأي دور يريدها هو أن تؤديه وتستمر في إتقانه..

وعندما قررت العودة مرة أخرى كان لها أسبابها أيضًا.. لم تكن تنتظر منه السماح.. ولا لتطلب منه صك الغفران لفعلتها الشنيعة.. لكنها كانت تريد التأكد أنها المرة الأخيرة بحق.. وأنها النهاية فعلاً.. وأنها ليست كباقي المرات التي تقرر فيها

الرحيل فتتراجع..

فهذه المرة كانت تختلف بالفعل.. فهو حقًا تعلم منها الدرس جيدًا.. تعلم أن يستمد من قسوتها بعضًا من قسوته.. عرف أخيرًا كيف يتخلص من قيد الاحتياج إليها.. كيف يحطم قيدها الذي التف حول قلبه وحياته.. فقد انتهت كل الأدوار.. ولم يتبقَّ لها حتى دور ثانوي واحد لتؤديه.. كان لا بد أن تكون هذه النهاية.. الذهاب بلا رجعة..

فهو أخيرًا أصبح حرًّا.. وهي أيضًا أصبحت حرة كما أرادت دومًا أن تحيا.. حرة من كل قيد يعيق سيرها قدمًا.. أو يعيق عودتها إلى المجهول من حيث أتت.. حتى من هذا القيد العذب الذي تهفو إليه كل الأرواح.. وأصبح الآن يغمرها فرحة وحزنًا معًا.. فرحة انتصاره على شيطان قلبها القاسي.. وحزن لا يفارقها على نهاية أدوارها المتصنَّعة بعدما اعتادت عليها.. فقد أدركت أن الله أودعها قلبًا صلدًا لا يخضع للحب.. قلب هواه محرم لا يقربه أحد..

النشر لمن يستحق

خارطة الطريق إلى قلبي

" رحيل ملاك "

دعني أرسل إليك رسالة قصيرة.. يا من مقدر لي هواك.. دعني أعبِّر ولو بكلمات قليلة عن ما أخفيه بداخل قلبي المعذب من فعل جفاك.. دعني أخط بأناملي داخل قلبك بعض الكلمات قبل أن أسطرها على صفحات من ورق..

استمع إلى كلماتي ودعها تنساب بداخلك كخرير الماء.. دع قلبك يعيها.. يحفظها.. لا تجعلها مجرد كلمات تذهب هباء.. لا تتدعها تتناثر هنا وهناك..

يقال إن الحب يضعه الله بداخل القلوب وليس بأيدينا حيلة ولا وسيلة لجلبه إلينا.. ولا لدفعه عنا.. ويقال عني.. إني أعارض الحب والعشق بفعل العناد..

ويقال إن وراء قلبي المتحجر كصخرة.. قلبًا مثل قطعة

جليد.. سوف تذوب يومًا ما.. وسوف يكشف عن قلبي كوردة ندية صبيحة يوم ربيعي يقبع بداخله الحب كقطرات الندى ليزداد قلبي رونقًا ونضارة.. ويومًا ما سوف يعود الشباب لقلبي الذي هرم وأصبح يتتداعى بفعل شيخوخة المشاعر..

لكن دعني أخبرك سرًّا عن قلبي المغلق بشفرة سرية.. دعني أخبرك عن لؤلؤة حبي المكنونة لك.. والتي لن تظهر للنور حتى تكسر صدفتها..

اعلم جيدًا.. أن لقلبي خارطة طريق..

والطريق إلى قلبي ليس بصعب ولا بمستحيل.. وإنما قد يكون الطريق إليه طويلاً..

فقلبي يقع داخل دوامة من الأفكار العقلانية واللاعقلانية.. وتتصارع بداخله مشاعر رقيقة وهفوات عفوية.. وبعض من الأحلام الوردية..

خارطة الطريق إلى قلبي سوف أضعها بين يديك.. إن استطعت الوصول إليه فهنيئًا لي.. قبل لك.. وإن لم تقدر فلن

ألومك ولن أعاتبك.. ولكن سوف أحزن على استسلامك السريع..

فأرجوك لا تفقد الأمل سريعًا.. ولا تفتح طريقًا في قلبك لليأس والاستسلام..

وأرجوك أن تخرج قلبي من عزلته.. حطِّم قسوته.. دمِّر سطوته.. أذب الجليد عنه..

فأنا سئمت لعب دور الحاكم.. سئمت خط الخرائط وتقسيم العوالم إلى عوالم خيالية أقتلها وعوالم واقعية تقتلني..

شكوك أنثى

" رحيل ملاك "

"إن لحظة حب تبرر عمرًا كاملاً من الانتظار".

أحلام المستغانمي

أما زلت تذكر هذه الكلمات.. إنها إحدى عباراتك المفضلة عن الحب.. تلك العبارات الصغيرة التي تدونها دومًا في دفتر يومياتك الصغير كلما قرأت شيء أعجبك.

لكن هذه الكلمات دون غيرها لها بداخلك أثرًا عميقًا.. ترددها كثيرًا.. تلقيها على مسامعي باستمرار.. تتأثر بها دومًا.. تحفظها عن ظهر قلب.. تنقشها دائمًا فوق أوراقك المبعثرة هنا وهناك في أرجاء غرفتك المتواضعة.. تلك الغرفة التي أنهكها الزمن.. تلك الغرفة التي أتعبها غياب أنثى تعتني بها.. وأنثى خلقت لتعتني بك أنت أيضًا وتعتني بكل أشيائك.. أبسط أشيائك.. حتى تلك الأشياء المهملة والمبعثرة في جميع أرجاء الغرفة.

أنا أيضًا أعشق هذه الكلمات.. فهي تعطيني بعض الصبر

والجَلَد.. تهوِّن على قلبي لحظات كثيرة من الانتظار.

كل ليلة أجلس هنا أمارس هوايتي المفضلة منذ دخلت حياتي.. كل ليلة أجلس هنا على أعتاب بابك في انتظار قدومك.. قلبي أدمن لحظات انتظارك.. أدمن لحظات القلق المتعة التي تمر بي وأنا في انتظار وترقب..

ساعات طويلة أطرق بسمعي لما خلف هذا الباب المغلق من الخارج.. لسماع وقع أقدامك وأنت تعتلي درجات السلم.. وأنت تقترب من ذلك الباب الموصد.. وأنت تدلف بداخل الغرفة.. أشعر في هذه اللحظة بأن الحياة دبت بي من جديد وأنت ترمقني بتلك النظرة سريعًا.. لا تتوقف هوايتي هنا.. ولا يتوقف انتظارى لك بمجرد قدومك.. وإنما هذه هي البداية فقط..

بداية ليلة طويلة جدًّا من الانتظار..

عندما تلقي بجسدك المنهك على فراشك لتستسلم لنوم عميق حتى الصباح.. أنت تنام وأنا لا أتذوق طعم النوم.. بل أظل كما أنا أنظر إلى وجهك.. أحفظ تفاصيله.. أعيد رسمه.. أخزِّنه بداخل عقلي حتى لا أنساه في اليوم التالي من طول غيابك عني.

تأخرت كثيرًا اليوم.. ليس اليوم فقط.. بل معظم الأيام السابقة كنت تأتي من الخارج وقد استبدَّ بك التعب والإرهاق.. تلقي بجسدك على فراشك الصغير.. ولا تلقي لي بالاً.. ولا ترمقني بنظرة إعجاب كما كنت تفعل دومًا في الماضي.

أين تلك النظرات التي كنت تغدقها عليَّ ليل نهار؟

وأين تلك النظرة التي رمقتني بها أول مرة تلاقت أعيننا؟

أتذكر متى؟

أتذكر أين؟

أم نسيت؟

لا يهم.. فأنا أذكر كل ذلك كأنه كان بالأمس..

أذكر ذلك الحفل الكبير.. أنا وأنت وأناس آخرون.. وكان هناك الكثيرون أيضًا مثلي.. لكنك اخترتني أنا بالذات دونهم جميعًا.. يومها تعلقت بك حد الجنون.. سحرتني نظرات عينك لي.. تلك النظرات التي اختلفت عن كل النظرات التي كانت ترمقني ذلك اليوم.

الجميع كان ينظر لي بانبهار يمدح جمالي الخارجي.. منهم من كان يمدح شعري المنسدل خلفي.. منهم من كان يمدح دقة شفاهي.. ومنهم من يمدح فستاني العاري الكاشف لجمالي الفاتن.

أما أنت فنظرت إليَّ نظرة مختلفة.. نظرت خلف جمالي الخارجي.. نظرت إلى قلبي مباشرة.. لتدرك مدى الحزن المخبأ فيه.. لتدرك مدى الشوق إلى رجل يحتويه.. رجل يحترمه لا يزدريه..

يومها أصررت أن تفوز بي مهما كلفك الأمر، وأنا تمنيت أن أكون لك وحدك.. أنت فقط دون سواك.. أنت من كانت نظراته تحمل لي الاحترام والتقدير والحب.

أين ذهبت هذه النظرات الآن؟

لماذا فَتُر اهتمامك بي؟

لماذا لم تعد تلقي عليَّ تحية الصباح كل يوم؟

لماذا لم تعد تلقي على مسامعي كلماتك.. أشعارك.. خواطرك.. وشكواك؟ ألست أنا صديقتك وأنيسة وحدتك كما

اعتدت أن تخبرني دومًا؟

أعلم أن حالك منذ فترة قصيرة تغير، وقلبي أصبح يرتاب فيما ألم بك.. قلب الأنثى بداخلي يخبرني بأنك وجدت أنيستك في مكان آخر ومع امرأة أخرى.. امرأة تحمل روح وكيان.. تحدثها.. وتحدثك.. تحبها.. وتحبك.. تبادلها مشاعر الغرام.. وتبادلك هي الأخرى الشوق، تعطيك ما عجزت أنا عن إعطائه لك.. أنت تستحق أن تكمل حياتك مع امرأة حقيقية.. وليست امرأة مثلي داخل إطار لوحة معلقة على جدار غرفتك تنظر إليك.

أسمع صوت وقع أقدامك الآن تقترب من باب الغرفة.. قلبي يتلهف لرؤياك.. لكن مهلاً أسمع أيضًا وقع أقدام أخرى معك.. إنها أقدام تسير برشاقة وخفة كأنها لا تلامس الأرض.. أسمع ضحكات رقيقة كضحكات أنثى.. الآن أصبح الشك حقيقة.. الآن صدق حدسي وظني.. الآن انتهت لحظات الانتظار بالنسبة لك.. ولكن لحظات انتظاري لك لم تنتهِ بعد..

النشر لمن يستحق

رقصة التانجو

" رحيل ملاك "

لا أعشق فصل الصيف كثيرًا.. ولست من أنصار قدومه القاتل للبهجة بداخلي.. ففي بعض الأحيان أشعر بأنني أبغض هذا الفصل دون غيره من الفصول الأخرى من السنة.

لكني أعشق الشتاء.. لأنه يذكرني بك.. يذكرني بالدفء الذي تجلبه لي عندما تحتويني بين ذراعيك وتضمني إلى صدرك.

أعشق الخريف.. لأنه يذكرني بسنوات العمر التي تتساقط سنة تلو الأخرى وأنت تحيا معي وبداخلي، فالعمر شجرة تتساقط أوراقها كل عام ورقة ورقة.

وأعشق الربيع.. لأنه يذكرني دائمًا بأن هناك أملاً قادمًا.. وأنه مهما طالت غيبتك عني فسوف تأتي إليَّ يومًا ما لتجلب السعادة بقدومك إلى روحي البائسة.

أما الصيف.. فلا أمل في محاولة إقناعي بأن أتقبل هذا الفصل بالذات.. فليس بداخلي شيء يجعلني أحبه.. فهو يأتي

ليقضي على الربيع الذي لا يلبث أن يتلاشى سريعًا مع قدوم فصل الصيف.

بقدوم الصيف يتوقف كل شيء بحياتي تقريبًا.. يصيبني الخمول والفتور.. أغلب لياليه أعاني الأرق.. يجافيني النوم.. فلا أستطيع الاستسلام سريعًا للنوم في هذا الجو الحار الخانق.

حتى كلماتي تهرب مني في الصيف.. لا أجد ما أكتبه لك أو عنك.. يصيبني اليأس.. وتتملكني الكآبة دائمًا في هذا الفصل من السنة.

أحاول الآن كتابة أي شيء.. ولكن دون جدوى.. ما زالت الكلمات هاربة مني.. عقلي أصبح كصفحة بيضاء.. تائه.. مشوش.. أو قد يكون ذاب بفعل الحرارة.

سوف أغير نشاطي من الكتابة للقراءة.. لعلني أجد في كتبي المفضلة الملقاة هنا وهناك في جميع أنحاء الغرفة ما يُذهِب عني السأم والضيق، كتاب تلو الآخر أتناوله وألقي به.. لا أستطيع فهم كلمة واحدة منه.. وما زال الليل طويلاً جدًّا.. وهذا

الطقس الحار المشبَّع بالرطوبة يكاد يصيبني بالضيق.. تكاد أنفاسي تختنق بداخلي.

حسنًا.. لأستمع إلى بعض موسيقاي المفضلة.. فهي تساعدني على النوم في تلك الليالي التي يهرب فيها من أجفاني.

على صوت موسيقى التانجو الساحرة أخذت أتمايل بخفة في كل أنحاء الغرفة.. شعرت ببعض نسمات الهواء اللطيفة تهب من خلال نافذة غرفتي.. أصبحت تتطاير معها الستائر المخملية كأنما تتراقص هي الأخرى على صوت الموسيقى معي.

تسارعت خطواتي حتى أصطدمت به وهو يفرد زراعيه باتجاهي يطلب مراقصتي، احمرَّت وجنتي من شدة الخجل.. فأنا لا أجيد الرقص حقًا، ولم أتعلمه من قبل، ولم أجرؤ على أن أتمايل إلا بيني وبين نفسي.. حتى هو لم أراقصه من قبل.

هو: لنرقص معًا.. أنا وأنتِ.

أنا: تعلم جيدًا أنني لا أجيد الرقص.

هو: سوف أعلمك إذا.

أمسك بيدي، ويده الأخرى تلتف حول خصري.. أخذنا نجوب الغرفة وندور في أرجائها.. تلك الغرفة التي اتسعت وازداد حجمها لا أعلم كيف! لتسع رقصنا البارع.

كانت قدمي تنزلق بسهولة عجيبة في جميع زوايا الغرفة، وأنا التي لم أعلم عن الرقص من قبل شيئًا.. أصبحت الآن أرقص ببراعة.

بمرور لحظات أصبحنا لا نرقص على الأرض، بل نرقص هناك فوق ذلك القمر الساطع.. وتحيطنا النجوم اللامعة من كل جانب كأنها تتراقص هي الأخرى مع صوت الموسيقى.. أصبحت الآن أتناقل بخفة بين يديه التي تحتوياننني.. وعيني مصوَّبة إلى عينيه اللتان تخبراننني بالكثير دون أن ينطق بأي كلمات.

أسندت رأسي على كتفه، أغلقت عيناي.. لم أعد أشعر بشيء مما حولي غير أنني أشعر بالأمان وأنا قابعة بحضنه، الآن أستطيع الاستسلام للنوم وتناسي فصل الصيف الخانق.

طرقات على باب الغرفة جعلتني أفيق.. فتحت عيني

سريعًا.. كانت أمي واقفة أمامي تحمل شمعة صغيرة وتنظر بدهشة إلى زراعي المفرد في الهواء ألف وأدور في أنحاء الغرفة وأنا مغلقة عيني أحدث نفسي..

- أين هو؟

- إلى أين ذهب؟

- أين اختفى؟

- وأين اختفى كل شيء؟

ضوء القمر الساطع.. تلك النجمات الصغيرة اللامعة.. والنسمات الصيفية التي كانت تهب.. الستائر التي كانت تتراقص معنا.. حتى صوت الموسيقى اختفى هو الآخر..

لقد انقطعت الكهرباء.. وانقطع معها الحلم وتلاشى كل شيء.. ولم يتبقَّ لي غير ذلك الطقس الحار الخانق.. لكن كرهي للصيف قلت حدته نوعًا ما.. الآن فقط عرفت كيف أتغلب عليه بأحلامي.

رحيل ملاك

– لماذا أنتِ هكذا لا تبالين بفكرة الموت؟

سؤال ظل يتردد بداخلي كثيرًا من سنوات عديدة، ولكني دائمًا ما أتعمد الهرب من إجابته حتى تلك اللحظة التي ألحَّت هي لتعرف إجابة لسؤالها المعقد.

جاءني صوتها مرة أخرى.. لكن هذه المرة بنبرة أعنف:

– لماذا أنتِ هكذا لا تبالين بفكرة الموت؟

– لكم يعذبني سؤالك هذا.. وسوف يعيدني إلى سنوات مضت وولَّت ولا أرغب حقًّا في تذكرها الآن، لكن تريدين حقًّا معرفة الإجابة على سؤالك.. سوف أخبرك.. لكن قبل أن أجيبك أخبريني أنتِ: ماذا تعرفين عن الموت؟ أو ماذا يعني لكِ الموت؟

– الموت فراق.. يفارقنا من نحب إلى عالم آخر ويتركنا في الحياة الدنيا نتجرع ألم الفراق.

– لا.. الموت ليس كذلك.. سوف أخبرك أنا ما الموت حقًّا.. الموت هو "انفصال الروح عن الجسد بعد أن كانت سارية في نسيجه وسائر خلاياه".. هكذا يعرِّفه العلم.. هذه هي حقيقة الموت ببساطة.

– هكذا أنتِ دائمًا.. تميلين إلى فلسفة الأمور ووضعها في ميزان العلم والعقل.. لكن الروح وإحساس القلب منعدم لديكِ.. حتى سؤالي لمَّا تجيبين عليه.

– بل أجبتُكِ عليه وأنتِ لم تفهمي.. لكن سوف أقص عليكِ قصة صغيرة لتعرفي بها حقيقة الموت.. ولماذا أنا لا أبالي بالموت حقًّا.

"منذ سنوات بعيدة جاءنا ملاك زائر.. جاء ليحيَ بيننا.. استقبلناه بحفاوة مطلقة.. منذ لحظة قدومه الأولى أشاع البراءة والنقاء في بيتنا المتواضع.. كان حضوره مميزًا حقًّا، استطاع أن

يسلب قلوب الجميع بسحره وبراءته.. أحبته أمي حبًا جمًا.. وكذلك إخوتي.. أما أنا فقد كنت أراه شيئًا آخر.. كنت أراه ملاكي الخاص بي أنا فقط.. كان ينشر براءته على العالم أجمع.. إنما في النهاية أعلم أنه لي.. لي أنا وحدي فقط.. سنوات قضيناها معًا.. لم نفترق مطلقًا ولو للحظات.. أول وجه كانت تراه عيني في الصباح.. وآخر من أغلق عيني عليه في المساء.

كانت لديه تلك اللمسة الحانية الغريبة.. والتي كان يختصني بها كل يوم عندما يربت على كتفي.. أما عند النوم فكان يتشبث بي بكلتا يديه ويلتصق بي.. كانت تلك الفعلة تثير حنقي كثيرًا.. وما إن أشرع في إبعاد يديه عني وأزيل تشابكهما حول خصري.. حتى يعاود الكرة مرة أخرى.. كأنه يريد أن يقول: لا أريد أن أتركك.. أخاف الفراق.. لا بد أن نظل هكذا حتى لا نفترق.. نحن شيء واحد وكيان واحد.

ومرت السنوات.. نستيقظ معًا.. نلهو معًا.. نذهب للنوم معًا.. حتى جاء يوم مرض ملاكي.. وكنت أظن أن الملائكة لا

تمرض مثلنا قط.. كأن ما بها من طهر ونقاء يحميها من الشرور ومن أمراض البشر.

سنوات تتطوي الأخرى.. ومن طبيب لآخر.. وتستمر رحلة العلاج الطويلة.. تغير فيها ملاكي كثيرًا.. بعدما كنت أستيقظ على وجهه الملائكي الراقد أمامي كل صباح.. أجده يزيح وجهه بعيدًا عني.. لا يريد لأحد أن يرى تغير ملامحه الملائكية..

كنت ألمحه ينظر بالساعات في المرآة ليعرف مدى ازدياد وزنه.. وما تأثير ذلك الدواء اللعين على نموه الجسدي.. وعلى الرغم من ذلك فقد كان في نظري أجمل وأنقى ملاك رأته عيني يومًا..

ومن بعد بهجة كانت تعم البيت.. انقلب لشيء آخر.. يخلو من السعادة والسرور.. الكل حزين ومهموم.. نرى ذبوله ولا نستطيع أن نقدم له يد المساعدة.

أما أنا فقدت انطلقت من مرحلة الطفولة لمرحلة المراهقة..

وإلى مدرسة جديدة.. وأصدقاء جدد.. وتركت ملاكي وحيدًا في مدرستنا القديمة.. يعاني من نظرات الشفقة في عيون من حوله.. ومن نظرات السخرية والإيذاء من أطفال في نفس سنه في مدرسته.. كنت ألمح نظرات الحزن ترسو في جفنيه.. يستنجد بي ألا أتركه وحيدًا يعاني من بشر لا يعرفون الرحمة.

ولكن على الرغم من كل ذلك لا زال يتحلى بالإيمان وبالصبر.. لا يريد أن يرهق أحدًا أو يبعث الغم والحزن بداخلنا.. وخاصة أمي.. حتى في شدة الألم والمعاناة ترى الابتسامة تنير وجهه.. حتى لمسته الحانية لم ينسَ أن يهديني إياها كل يوم.. أما تشبثه بي كل ليلة أصبح من الماضي.. كأنما يريد أن يقول لي: "ما فائدة تشبثي بك الآن وقد أزف الرحيل".

لقد قرر الرحيل وفي عينيه دموع محبوسة.. وعلى شفتيه كلمات تأبى الخروج.. لكني علمت ماذا يريد أن يقول.. كان يريد أن يقول: "لقد أثقلتُ عليكم.. وبدلاً من أن أجلب لكم السعادة جلبت لكم الأحزان.. توهمت يومها أنها مجرد أوهام بمخيلتي

ليست حقيقية".

لم أنق طعم النوم يومها.. وكيف أنام وملاكي يرقد في مشفى حقير.. ومن حوله أطباء لا تعرف رحمة ولا شفقة بمريض.. وتحيط به أجهزة موصلة بجسده وقلبه.. ونبضه ساكن.. غائب عن الوعي.. ولكن ليس غائبًا الإحساس.. شعور غريب أصابني كأن قلبي طعن بخنجر، حقًّا كنت أعاني الآلام أنا الأخرى.

ساعات قليلة قضيتها خارج المنزل.. وعند عودتي لمحت المودِّعين مصطفِّين على الجانبين.. لم أصدق عيني.. كيف له أن يرحل؟ كيف يأخذ مثل هذا القرار؟ كيف يرحل دون أن يلقي على مسامعي تحية الوداع؟ دون أن يهديني لمسته الحانية الأخيرة؟ دون أن يبتسم في وجهي ابتسامة الرضا الدائم على وجهه رغم الألم؟ كيف يرحل ولا يمهلني فرصة حتى لقبلة الوداع؟!

وعندما حل بي التعب وأغمضت عيني لبضع لحظات.. جاءني في المنام.. يلعب مع ملائكة أخرى مثله.. ولأول مرة منذ مدة أسمع ضحكاته.. طلبت منه أن يعود معي ولا يتركني

وحيدة.. مددت يدي إليه.. ومد هو يديه.. لكن لم نستطع الوصول مطلقاً.. نظر لي نظرة حزينة ثم تركني وانصرف.. بعدما أخبرني بأن لنا موعدًا آخر.. وكلماته تتردد بأذني حتى بعد استيقاظي..

"فأنا أحيا الآن في موطني.. وسط الملائكة.. وإن غبتُ بجسدي فمعكم بروحي"..

ومنذ ذلك اليوم توالى رحيل الملائكة والبشر.. وحتى الشياطين.. فالرحيل سنة للحياة.. ولكن الأهم من ذلك حكمة الرحيل.. ماذا ترك لنا الرحلون من بعد رحيلهم؟

ملاكي ترك لي الصبر.. وترك لي الرضا بقضاء الله.. وترك لي معنى آخر للحياة.. "مهما طال الزمن أو قصر فكلنا راحلون.. ولكن من منا سوف يرحل وهو فائز بالجِنان؟ ومن منا سوف يرحل في مثل طهر الملائكة وبراءة الأطفال؟"

فالموت ما هو إلا خروج الروح عن الجسد.. لتسكن بداخل أرواحنا.. لنكمل نحن مسيرة الحياة.

النشر لمن يستحق

قديستي.. أحبك

" رحيل ملاك "

هنا دائمًا كان لقاؤنا المعتادة.. حيث كل شيء في هذا المكان يشهد على ما كان بيننا.. هذا المكتب الخشبي الأنيق.. تلك الصور المعلقة على الحائط -والتي كنا دائمًا نتهامس بأنها تراقبنا وتنظر إلينا.. هذه الأوراق الملقاه بداخل سلة المهملات.. لأن ما بها من كلمات لا يرقى لمستوى حبنا.. حتى قلمك الذهبي اللامع.. شاهد على ما كان بيني وبينك.. هذا القلم الذي كلما أردت أن تخط به بعض كلماتك الساحرة معبرًا لي عن حبك أمسكت به..

اسمح لي أن أستعير قلمك الذهبي لبعض الوقت.. ذلك القلم الذي خططت به أول رسائلك إليَّ، لأخط به آخر كلماتي لك.

ما زالت أحفظ كل كلمة منمقة خطتها أناملك على الورق.. وكل كلمة نطقها قلبك وترجمها لسانك إلى كلمات عذبة..

وحتى كل نظرة ساحرة من عينك معبرة عن حقيقة مشاعرك.

أذكر كلماتك المعتادة التي تلقيها مرارًا وتكرارًا على مسامعي.. وتلك الكلمة التي تختتم بها كل حديث بيننا وكل رسالة تكتبها..

"أحبك قديستي"

ما زالت تتردد هذه الكلمة في ذهني باستمرار، فهي لا تفارق مخيلتي أبدًا.. في صحوي ومنامي.. هذه الكلمة التي أيقظتني ليالي طوال من شدة الشوق واللهفة إليك.. ما زالت أيضًا توقظني كل ليلة.. حتى فارقني النوم.. ولكن ليس من شدة الشوق واللهفة إليك هذه المرة.. وإنما من شدة الخوف والحيرة.

هذه الكلمة التي فقدت رونقها وجمالها في نظري.. حيث لم يعد لها معنى ولا وجود.. فأين هي الآن قديستك؟

أتذكر كيف كنت قبل حبك؟

وماذا أصبحت الآن بعد الوقوع في أسر عشقك؟

لا يهم كم من الوقت مضى وأنا منقادة لهذا الحب.. فالعمر بين يديك لحظات.. وكل لحظة بين يديك عمر آخر يضاف إلى أعماري.

من قبلك كنت أسيرة وحدتي.. أقبع في صومعتي بعيدة عن البشر.. أوقاتي ليست ملكي.. قلبي ليس ملكي.. كانت دموعي تذرف من الخشية.. لساني يلهج بالذكر والصلوات.. وأما الدنيا في ناظري فليس لها وزن.

الآن أصبحت صومعتي مهجورة.. العالم من حولي يلهبونني بألسنة حداد.. وعيونهم تفتك بي.. أوقاتي ما زالت ليست ملكي.. قلبي أيضًا ليس ملكي.. أصبحا ملكًا لك.. دموعي ما زالت تذرف بكثرة.. ولكن هذه المرة ليست من الخشية ولا الرهبة.. وإنما تذرف من ألم الحب وعذاباته.. لساني أصبح لا ينطق إلا اسمك.. غاب عنه الذكر.. والصلوات ما عدت أقربها.. فقلبي ولّى وجهه شطر قلبك فقط.. وأصبحت أنت كل الدنيا.

ما عدت تلك القديسة في صومعة الصلاة.. بل أصبحت

قديسة في محراب حبك.. ما عدت أنا أنا.. ما عدت حتى أعرفني.

الآن أصبح عليَّ الرحيل عنك.. فقديستك لم تعد كذلك.. وكلمتك لم يعد لها معنى أو وجود.. سوف أرحل الآن.. لكن لا أعلم إلى أين.. ولكني أعلم أنني في شوق إلى صومعتي وإلى صلواتي وإلى مناجاتي مع الله.. سوف أرحل للبحث عن روحي القديمة.

سوف أرحل قبل أن تتبدل صورتي أمامك بالكامل.. سوف أرحل لأن قديستك أصبحت مجرد ذكرى من الماضي.. سوف أعود من حيث أتيت.. سوف أعود إلى صومعتي لعلني أجدني هناك.

النشر لمن يستحق

" رحيل ملاك "

تمر الأيام رتيبة ومملة.. لا جديد فيها يغير من وقعها الممل السخيف.. وفي خضم تلك الحياة الرمادية تمر بي لحظات عشق وحب جنوني.

لا أعلم من أين تأتي تلك المشاعر والأحاسيس المتدفقة.. المتعطشة للحب وللحبيب.. أترك العنان.. لقلبي.. وعقلي وللأحلام.. للغوص في ظلمات بحر الحب.. ولكن مهلاً.. ذلك في خيالي فقط وليس على أرض الواقع.. قد تكون هذه حيلة دفاعية مثل التقمص للهروب من واقع الأيام ورتابتها.

فكل كلمة حب تلمس وجداني.. كل نظرة إعجاب تلتصق بي.. كل الناس من حولي قمة في الجمال والبراءة.. أحب كل الناس وأحب كل الدنيا.. ويصبح كل شيء في نظري قمة في الروعة.

يمر أمامي المحبون.. أغبطهم على حبهم.. ويسرع قلبي في لهفة بدعوة في ظهر الغيب.. "ربِّ أسعد أيامهم وزدهم من

جنون الحب أصنافًا".

أتمنى من كل قلبي أن أكون يومًا ما مكانهم.. وهناك من ينظر لي بلهفة وحسد على روعة الحب الذي يشع كهالة نور ضخمة تحيط بهم.. فتجعلهم ككتلة واحدة.

ذلك هو إحساسي الآن.. أحب إحساس الحب لذاته وليس حبًّا لشخص بعينه.. ودائمًا ما أردد في تلك اللحظات كلمات أغنية مفضلة.. "الليلة إحساسي غريب.. عاشق وأنا ما لي حبيب"..

قلوبنا في هذه اللحظة أرض خصبة.. تنتظر زارعًا ماهرًا يلقي ببذور الحب فيها.. تنتظر من يجيد بذر الحب ومن يجيد حصاد ثماره.

فهل يعقل هذا الإحساس؟! هل يعقل أن نشعر بلذة الحب وسعادته الغامرة لقلوبنا كفيضان النيل بدون حبيب نبادله الحب.. قد يكون هذا الإحساس ما هو إلا شوق ولهفة وحنين لرفيق الدرب القادم من عالم المجهول.

لحظات من أحاسيس ملائكية ذات أجنحة شفافة تمر بي.. تعزف على أوتار قلبي.. وتبث في شرياني نبض الأمان.. وفي نفس الوقت تغمرني بخوف وبعض الأحزان.

لأن على الرغم من حلاوة ذلك الإحساس.. إلا أنه قد يكون نذير سوء.. ومؤشر للخطر.. حيث يصبح قلبي مفتوحًا على مصراعيه لكل تيارات الحب القادمة أو المارة بجانبه، قد يتحول قلبي لقطعة مغناطيسية تجذب كل إحساس.. كل كلمة.. كل شعور بتجاهه.. إني أشتاق لإحساس الحب الكامل الغامر لكياني.. ولا أعلم لذلك موعدًا، فإنه ليس بيدي إنما بيد القدر.

والحل الآن أن أغلق على هذا الإحساس قلبي.. وأجهض وليد الحب قبل مولده.. فلست على استعداد لتحمل صدمات أو تيارات هوائية تتطيح بقلبي عرض الحائط.. تحطم كياني قبل قلبي وحياتي..

وما أقسى من تحطم الكيان.. تنسى معه أنك إنسان.. وتحيا وأنت لا تعرف لك طريقًا ولا عنوانًا.. فصبرًا يا قلب.. لم يحِن الآوان.. فلم يحن أن يكون للحب على قلبك سلطان.

النشر لمن يستحق

نظرة لؤم

" رحيل ملاك "

لا تنظري لي تلك النظرة الخبيثة.. تعلمين جيدًا أنني أكرهها.. وأكره كل ما يقترب من الخبث واللؤم.. نظرتك هذه تثير حنقي بالفعل.. فهي نظرة مليئة بسوء الظن بي.. نظرة تجعلني في نظرك موضع الشك وموضع اتهام.. وتضعني في خانة المذنب أو المرتكب لخطيئة..

حسنًا.. من الأفضل أن أشيح ببصري عنكِ قليلاً حتى تتخلصي من نظرتك الخبيثة تلك.

لكن أتعلمين أنني قد أكون أخطات عندما أخبرتكِ عنه.. وأعلم أنني قد أكون تسرعت عندما تشاركت معكِ بالحديث العابر عنه، كنت أعلم أنك سوف تسيئين الظن بي لا محالة.. وسوف يكون أول ما يتبادر في ذهنك بعد حديثي هذا أنني غارقة في بحور الحب.

لا يا عزيزتي.. أنتِ واهمة جدًا.. ولا أعلم لماذا خطر ذلك على عقلك الواهم المريض! ولماذا أنتِ متعمدة بنظرتك تلك أن تشعريني بأنني فأر وقع بداخل فخ الحب؟!

هل هذا لأنني أتحدث عنه باستمرار.. وأعدد لكِ مناقبه.. وأخفي الكثير من عيوبه عنكِ؟ أم لأن خلجات وجهي تضطرب عندما أسمع اسمه يُلفظ أمامي؟ أم لأن وجهي يكتسي بالنور.. وتعلو شفاهي ابتسامة مشرقة كلما لمحت صورته وهيئته؟ أم لأن عيناي تدور دائمًا باحثة عنه في كل اتجاه بين جموع البشر من حولي؟ أم لمحاولاتي المستمرة في استقصاء أخباره ومعرفة ما يدور بعالمه المنغلق الذي لا أعلم عنه شيء؟ أم لأن حالي يتبدل من حال إلى حال عندما تخطر ذكراه في مخيلتي؟

لماذا أنتِ صامتة هكذا؟ لماذا لا تنطقين وتتحدثين بأي كلمة تكسرين بها هذا الصمت الرهيب؟ الآن أصابك الخرس؟!

تحدثي ولو بكلمة صريحة بما يدور بداخلك عني لعلك تريحين قلبي وعقلي!

لا.. لا تتحدثي.. فأنا أعلم بماذا سوف تجبينني، سوف تتهمينني بالجنون كالعادة.. وتفيضين علي بوابل من الاتهامات واللوم، سوف تخبرينني بأني عقلي قد خرب.. وبأنني أصبحت لا أزن الأمور بشكل جيد.. وبأني أصبحت أتصرف مثل المراهقات.

سوف تخبرينني بأني أعلق آمالاً على الأوهام.. وبأنني الآن أستلذ تذوق طعم السراب والمجهول.. وبأنني أبني أحلامي على شاطئ البحر بالقرب من أمواج الواقع التي لن تلبث أن تأخذ أحلامي معاها بعيدًا.

لا يا عزيزتي.. ليس بي شيء مما يدور بعقلك.. إن ما بي ليس إلا مشاعر طفلة تتطلع إلى الفوز بقطعة حلوى مثل التي تراها في أيدي الآخرين.. لكنها تدرك جيدًا أنها محرومة من هذه الحلوى.. فهي لا تمتلك ثمنها بالتأكيد.. وليس لها الحق في السرقة حتى تحصل عليها مثل الآخرين.. لأنها تخاف العقاب أكثر من رغبتها في تذوق حلوى الحب.

اطمئني.. لست أنا من تقع في فخ الحب وتغرق في عالم الأوهام.. والآن أزيلي تلك النظرة الخبيثة فورًا عنكِ.. واغربي عن وجهي.. وإلا حطمت وجهك القاسي.. هذا الناظر إليَّ من خلال المرآة.

النشر لمن يستحق

التي تخاف ذكرى مولدها

" رحيل ملاك "

اليوم ذكرى مولدي.. أتعلمون أنني أخافه كثيرًا!

لا تتعجبوا من ذلك.. فمن منا لا يخاف من شيء ما في حياته حد الرعب.. أراهنكم على أن كل فرد منا مصاب بفوبيا من شيء ما.. حتى أشدنا صلابة بداخله الكثير من المخاوف المرضية التي تؤرقه.. يحاول أن يخفيها حتى لا يتهمه الآخرون بالضعف والهشاشة.

فلا تتعجبوا من ذعري منه كلما تذكرته.. ولا تصبكم الدهشة إذا كنت في ذلك اليوم دون غيره أصاب بنوبات من البكاء والحزن.. ولا تستنكروا أفعالي عندما تغيب بداخلي مفردات الفرح وكل أبجديات الأمل.. وحاولوا أن تخفوا بعضًا من امتعاضكم من أفكاري السوداوية وكلماتي البائسة.. وأرجوكم لا

أحتاج لنظراتكم المليئة بالشفقة والأسى لحالي.. ولا أهتم كثيرًا لكلمات المواساة التي تمطرونني بها كل عام.. لا أحد منكم يدرك طبيعة ما أمر به ولا ما أشعر به الآن ليشاركني به..

إنها ذكرى مولدي الثلاثين!

أتعلمون معنى ذلك؟

الذكرى الثلاثون.. معنى ذلك أن فزعي.. وحزني.. ورعبي صار أكبر هذا العام عن العام الماضي.. فهم في ازدياد كل عام عن العام الذي يسبقه.. لذا دعوني أحزن أكثر.. أبكي أكثر.. ويقطر قلمي بؤسًا أكثر..

ولماذا لا أفزع منه وهو يأتي كل عام ليخبرني بأن العمر يمضي دون توقف.. بأن شمس شبابي أوشكت على المغيب.. وأن عقد العمر تفلّت مني وذبلت سنواته من الحنين.. وأنه هناك عام جديد أضيف إلى أعوامي التي انقضت بلا أمل.. ازداد معه خريف عمري عام آخر.. وتناقص ربيع عمري عام آخر.. وقلبي ما زال حائر في درب السنين..

"فكم ربيع جاء ولم يأتِ ربيعي"..

قرأتها يومًا لشاعرتي المفضلة.. وكم آلمتني كلماتها.. ولكنها اليوم لا تؤلمني.. بل تمزق قلبي.. فكم من الفصول تتوالى وتتعاقب.. وأنا كما أنا في مكاني.. متوقفة عن الدوران في هذه الحياة.

في كل صباح أمام مرآتي أتفحص وجهي في أسى وحزن.. لا يتغير بي شيء غير ملامح وجهي التي صارت أكبر.. بعد غياب نضارة وجهي من كثرة السهر والأرق المصحوب بالتفكير المستمر كل ليلة.. أتفحص شعيراتي البيضاء العشر على جانبي رأسي ليرتاح فؤادي القلق.. ولأتاكد بأنهن ما زلن كما هن دون ازدياد.. اليوم وجدتهن اثنتا عشر.. أعتقد أن فزعي هذا العام كان سببًا في ازديادهن..

عندما كنت صغيرة -مثلي مثل كل الفتيات- رسمت لنفسي حلمًا زاهي الألوان.. حلمًا مليئًا بالبراءة والطفولة.. أدركت الآن مدى سذاجته.. ومدى كذب الأماني.. ولكنه حلم

يخبو وينطفئ عامًا.. ويزداد وهجه عامًا آخر..

اليوم وأنا أطفئ شموعي الثلاثين سوف أطفئ وهجك أيها الحلم المخادع.. سوف أتركك تخبو.. حتى تصبح رمادًا تنثره الرياح في كل اتجاه.. حتى لا أقدر يومًا ما على جمعك مرة أخرى.. فليكفِ انتظار.. وليكفِ وفاء لرجل لا يأتي أبدًا.. رجل يسكن أحلامي.. يحاصر آمالي.. ويحتل هواجسي وأفكاري.. لذا اتركوني أحتفل بيوم مولدي بطقوسي الخاصة وشعائري المقدسة.. دعوني وحدي لا يشاركني أحد غير بكائي.. وألمي.. وحزني.. وبقايا حلمي المنطفئ..

النشر لمن يستحق

" رحيل ملاك "

كانت دقات الساعة تعلو لتعلن قدوم يوم جديد.. الساعة الآن الثانية عشرة بعد منتصف الليل، اثنتا عشرة دقة تدق مسامعي، ، كأنها تخبرني مرارًا وتكرارًا أن اليوم انقضى وجاء يوم جديد.. كل دقة تقتل بداخلي الأمل وتمحو لهفة الانتظار.. وتزيدني حزنًا وانكسارًا.

كنت أعلم جيدًا أن انتظاري المتكرر لك كل ليلة لا فائدة منه.. وأني اعتدت خداع نفسي.. واعتدت أن أمنّيها باللقاء.. كنت واهمة مغيبة العقل.. منساقة وراء أوهام الحب والغرام.. لا.. لم أكن مغيبة العقل.. بل كان عقلي يدق ناقوس الخطر بشكل مستمر.. ينذرني بألا أضع آمالاً وطموحات على المستحيل، ينبهني لأن الدنيا ليست وردية.. وليس كل ما نحلم به ونتطلع إليه يأتينا على أطباق من فضة وذهب.

كثيرًا ما كنت أشك وأرتاب في صدق نواياه.. لكن قلبي لم

يقدر يومًا على تكذيبه.. وكيف أكذبه وهو من وهبني روحي لأحيا من جديد.

أذكر يوم رحيلك عني.. أخبرتني بأنك سوف تسافر لبعض الوقت.. وسوف يبقى بيننا التواصل عبر الهاتف.. ومرت الأيام تلو الأخرى تنقضي ببطء لتقتلني مرتين.. مرة بفراقك عني.. ومرة أخرى بتأكدي من أنني كنت ضحية خداعك وكذبك.

لا.. لم أكن ضحية.. بل أنا شريكة أساسية في مؤامرة غشك المتواصل لي.. كنت أعلم أن هذا اليوم سوف يأتي لا محالة.. ولكن لم أكن أتوقع قدومه بهذه السرعة.. بعدما اعتدت على وجودك كل ليلة.

منذ رحيلك.. وكل ليلة أجلس أمام شاشة الحاسوب.. لعلي أجد منك رسالة اعتذار أو تبرير لغيابك الطويل.. الذي طال وطالت معه غيبتي أنا أيضًا.. ولكن بلا جدوى.. كل من حولي يرتابون في أمري.. يتساءلون دومًا عن سر غياب الضياء في عيني.. وسر اختفاء ابتسامتي الساحرة من على شفاهي.. يتهامسون فيما

بينهم عن أسباب نحول جسدي الذي يزداد يومًا بعد يوم.. وكيف برزت عظامي من تحت جلدي الشاحب اللون.. حتى أصبحت مثل المومياء شكلاً وروحًا أيضًا.. روحي التي فارقتني بلا عودة منذ رحيلك عني.. روحي التي فاضت وصارت هائمة في هذه الدنيا تنتظر الخلاص الأبدي من جحيم الحيرة وعذاب الفراق وألم الخداع.

كل ليلة أغلق على نفسي باب غرفتي أحدث نفسي وأمنيها بأمل العودة إليك.. أعيد كلامك المعسول الذي أحفظه عن ظهر قلب.. ورسائل الغرام المتأجج التي كانت أول ما تراه عيني كل صباح.. وآخر ما تقع عليه نواظري في المساء.. لأستسلم بعدها لسلطان النوم قريرة العين مقبلة على دنيا الأحلام التي معظمها كانت عنك.

كنت أنت الرجل الوحيد الذي استطاع أن يفوز بقلبي البكر عن جدارة.. قلبي الذي لم يعرف من قبل حبًا ولا لهفة ولا اشتياقًا.. أنت الرجل الأوحد في حياتي.. من سلمته قلبي وروحي

وعقلي.. أنت من استباح عذرية مشاعري.. وأول من تعلم لساني على يديه كلمات العشق والغزل.. وأول من فتحت له قلبي ليدخله ويغلق من بعده الأبواب.. أنت من سلمته مشاعري بصورة مطلقة.. بدون قيود أو شروط.. بعدما فقدت الأمل في حب وزوج وبيت يملئان وحدتي القاتلة.. معك حلمت بالمستقبل ورسمت حياتنا.. بيت صغير وأطفال صغار.

الآن أصبح بداخلي سؤال أردده في كل لحظة.. لماذا؟ لماذا أحييت بداخلي الأمل الذي مات منذ سنوات؟ ولماذا وبعدما أعدت إلى نبض قلبي وروحي المعذبة أخذتها معك مرة أخرى ورحلت.

اليوم وبعد مرور بضع أعوام منذ رحيلك أجلس أيضًا أمام الحاسوب.. لكن هذه المرة ليس لانتظارك.. وإنما هناك من هو في انتظاري لأعطيه نفس الأمل الذي سلبته مني منذ سنوات.. ولأذيقه من نفس الكأس الذي ذقته معك.

أريدك

" رحيل ملاك "

ليل طويل يملأه الرهبة والوحشة.. وليلي كريم لا يعرف للبخل معنى.. لم يبخل علي بهمومه كلها.. فصبَّها فوق رأسي صبًّا.. لكن هو موعدي المفضل للاختلاء بنفسي ومراجعتها.. ولجمع شتاتها مرة أخرى.. ما زلت أحبك أيها الليل برغم قسوتك التي لا ترحم.. ما زلت من عشاقك على الرغم من بطء ساعاتك التي لا تمضي..

فهل تسمح لي ببعض من هدوئك وصمتك الأسود.. انشره بداخلي لعلِّي أحظى ببعض السكون والهدوء.. لعل نفسي تصفو.. فأنا أحتاج لبعض الوقت لأجمع شتات نفسي مرة أخرى.. لا.. بل أحتاج إلى أسابيع طويلة حتى يعود الصفاء لذهني والنقاء لروحي..

لم أكن هكذا يومًا.. ولم يكن ذلك من طبعي.. ولم يكن التخلي عن الناس من حولي والاستغناء عنهم من شيمي.. لم أصل يومًا لهذا الحد من الضيق ذرعًا بهم.. اليوم أريد الهروب ممن حولي، وممن معي في طريق حياتي..

لم أعد أرغب في أحد بصحبتي.. ولا أريد أنيسًا غيري.. من حولي الآن أشباه للبشر.. اليوم أريد التحرر منهم.. وأريد التخلي عنهم..

أيقنت الآن أنني لست بحاجة لأحد.. بل هم من كانوا بحاجة لي.. وأنا سئمت احتياج الناس لي، والتحامل عليَّ وإثقالي بهمومهم ومشاكلهم التي لا تنتهي، كأن ليس بي ما يكفي من الاضطراب والهموم..

كرهت احتياجهم لي.. لا.. بل كرهت احتياجهم المصحوب بالمنفعة والمصلحة.. متى احتاجوا إلي جاءوني.. ومتى انقضت منفعتهم انفضُّوا من حولي.. ورحلوا بعيدًا..

أعلم أن الدنيا هكذا، كل منا يبحث عن منفعته ومصلحته الذاتية.. كل منا يدور في عجلة الحياة التي لا تكل ولا تمل.. ليس بيديه مساعدة غيره والوقوف بجانبهم.. ما بداخل كل فرد يكفيه..

لكن أنا لست كذلك.. أنا بجانب من يريدني حتى النهاية.. معهم ولهم وبهم كنت أكمل مسيرة حياتي.. لم أتعلم

يوماً التخلي عنهم.. بل هم من تخلوا عني..

اليوم قررت أنني لا أريد أحداً يرغب بي لأنني أقدم له العون والمساعدة.. لا أريد أحداً.. لأنني باختصار أجلب له النفع.. بعد اليوم لا أريد غير من يكون بجانبي في كل حين.. يريدني لذاتي لا لذاته.. يريدني لأنني أنا أريده..

أريد من يحمل عني بعض أثقالي وأحمالي.. يزيل همومي التي أرّقتني وقضّت مضجعي.. أريد من يقدم لي يد العون.. يمسك بيدي.. يربت على كتفي.. يخبرني بأن القادم أطلى وأجمل.. يخبرني بأن مهما ضاقت بنا الدنيا وساءت الأحوال فسوف يأتي يوم يتبدل العسر يسراً..

أريدك لا أريدهم.. أحتاج إليك ولا أحتاج إليهم.. أريدك ولكن ليس لمنفعة ذاتية ولا لمصلحة شخصية.. أريدك لأني بحاجة لنسيان الماضي.. ونسيان أشباه البشر الذين احتلوا سنوات عمري الماضية..

النشر لمن يستحق

الحب الصامت

" رحيل ملاك "

ليلى.. ليلى..

هكذا جاء صوت صديقتي ليقطع علي لحظات شرودي المعتادة.. والتي تصاحبني بشكل دائم منذ فترة.. والتي أشعر معها بأني أحيا في عالم آخر.. عالم داخلي منعزل عن باقي البشر.. عالمي أنا فقط الذي أحيا بداخله ويحيا بداخلي.. عالمي المليء بالوحدة.. والذى أملأه بالقراءة المستمرة، فهي تقريبًا متعتي الوحيدة الآن.. أمارسها طوال الوقت بين فترات الراحة بعملي بالمدرسة وطوال وقتي في البيت.

رفعت عيني من بين سطور كتابي الجديد الذي يتحدث عن رواية عشق أسطورية تنتهي بانتصار الحب على قسوة الظروف.. لأجدها بوجهها العابس.. أمامي مباشرة تنهرني بشدة.. وتخبرني بأن موعد انتهاء المدرسة قد حان.. وأن علينا

العودة للمنزل لتلحق بزوجها وأبنائها الذين ينتظرونها بالمنزل.

وفي الطريق المزدحم بالمارة كان يخيَّل لي أنهم يزحفون في تباطؤ شديد للعودة لمنازلهم.. كأنهم لا يرغبون في العودة مثلي تمامًا.. فلماذا أعود لمنزل فارغ لا يشاركني فيه غير أمي المريضة ووحدتي القاتلة؟ كان يخيل لي أن ما يوجد أمامي ليست سوى وجوه أشباح شاحبة كأنها خارجة من الأجداث.. وعلى الرغم من كآبة هذا المنظر.. إلا أن ثرثرة صديقتي بجواري لا تتوقف.. ثرثارتها المعتادة كل يوم عقب خروجنا من العمل.. وحديثها عن زوجها.. وأبنائها.. مصاعب الحياة.. ومشاكلها التي لا تنتهي.. ذلك الحديث الذي لا تكل ولا تمل من تكراره.. وأنا أتصنع السمع.. وفي الحقيقة أنا لا أعي منه شيئًا غير جملتها الأخيرة التي تختتم بها كل حديث بيننا:

"أنت محظوظة يا ليلى لأنك مرتاحة من هم وقرف العيال وأبي العيال".

تستوقفني كلماتها الأخيرة دومًا.. أين هذا الحظ؟! ومن

أين يأتي؟! ولماذا تظن أنني محظوظة من الأساس؟! وما الحظ في بقائي وحيدة حتى هذه اللحظة بدون رجل يحبني وأحبه؟!

أحاول تناسي حديثها المزعج.. وأكمل طريقي بخطوات متثاقلة.. أمشي أنا ويمشي كذلك الناس من حولي، في الطريق رأسي مطرقة أنظر باتجاه الأرض.. ولا أبالي بالوقت الذي أستغرقه في وصولي إلى البيت.. أو كيف أمشي.. أو أي الطرق أسلكها.

لكن اليوم انتباني شعور غريب.. شعرت بأن هناك من يراقبني.. شعرت بنظرات ثاقبة تخترقني.. بحركات تلقائية سريعة أدرت رأسي للخلف.. التقت عيني بعينك التي ما زالت كما هي تشع بالحب واللهفة.

هذه النظرات التي لم أتذوق طعمها منذ سنوات.. والتي اشتقت إليها كثيرًا.. وكنت أبحث عنها باستمرار بين جموع البشر حتى أصابني الملل من كثرة النظر للبحث عن نظرة مشابهة لنظراتك.. وأرغمت عيني على النظر للأرض حتى لا تختلط

بنظرات أنسى معها نظراتك الدافئة.

لحظات قليلة نسيت معها كل حياتي الحالية.. نسيت من أنا.. وكم بلغت من العمر.. وأنا في انتظارك يا فارسي الصامت..

هذ الفارس الذي أذاب قلبي منذ سنوات.. وما زالت ذكراه تذيب قلبي كل ليلة.. في هذه اللحظة نسيت هؤلاء البشر الذين يحيطونني من كل اتجاه، حتى حديث صديقتي المزعج نسيته هو الآخر.

نظرات عينيك أعادتني إلى الوراء.. إلى الماضي.. إلى أكثر من عشر سنوات.. أعادتني إلى أسوار الجامعة.. وقاعة المحاضرات.. ونظرات عيوننا التي كنا نختلسها من حين إلى آخر.. وأعادتني إلى لحظات هروب الكلمات منا.. وانتصار الصمت على لهفة المشاعر.

ليلى.. ليلى..

هكذا جاء صوت صديقتي مرة أخرى لأفيق.. لأجد أنك

مثل السراب تتلاشى كل مرة وتكتفي بنظراتك هذه..

فهذا كل ما اعتدت أن حصل عليه منك.. نظرات مليئة باللهفة والشوق وكلمات تقتلها قبل البوح بها.

لحظات التمرد

" رحيل ملاك "

لا أعلم لماذا تذكرته في ذلك الوقت المبكر.. بعد صلاة الفجر مباشرة.. توجهت تلقائيًا إلى صندوقي العتيق.. ذلك الصندوق الذي يحوى عالمي الخاص بما فيه من ذكريات.. حكايات.. ومتعلقات تعود إلى سنين مضت.. فأنا إنسانة تعشق التعلق بالماضي بشكل جنوني.. أحتفظ بأشياء قد تكون تافهة في نظر الآخرين.. ولكن في نظري هي حياتي السابقة وذكرياتي الماضية.. والتي أبني عليها الحاضر.. وأرفض التخلي عنها بكل سهولة..

ها هو صندوق الذكريات الصغير.. ذلك الصندوق الذي عندما أعبث في محتوياته ترتسم بسمة صافية لا أعلم مصدرها على شفتيّ.. وينتابني نوبة من السرور العجيب.. لا أعلم لماذا تتملكني نوبة الفرح الهستيرية هذه.. ولا أريد أن أعلم.. يكفيني

هذا الإحساس الممتع من الفرح والذوبان في ذكريات الماضي.

من بين هذه الذكريات القديمة مجموعة من الصور لي ولأصدقائي.. كل مرة أطلع عليها أشعر وكأنها المرة الأولى التي أراها فيها.. لكم أحب هذه الصور التي تذكرني بأيام الشباب والحيوية.. وبأيام المرح والانطلاق.. قبل أن يكبلنا الزمن بقيوده.. تلك الأيام كنا نرفع شعار "عِش اليوم ولا داعي للقلق من الغد".

ها هي صور رحلة القاهرة.. أتذكر قراءتي إعلان هذه الرحلة أنا ومجموعة من الصديقات.. كان معلقًا بجوار أحد المدرجات بالجامعة.. ذلك اليوم ضحكنا كثيرًا.. سخرنا من هذا الإعلان ومن تلك الرحلة.. وتساءلنا في تعجب كم من الفتيات في جامعتنا الصعيدية المحافظة سوف تتجرأ وتذهب.. كانت الفكرة تلتمع في رؤوسنا جميعًا.. حتى استقرت أخيرًا وقررنا الذهاب.. قررنا كسر القيود جميعًا.. وتحطيم تلك العادات والتقاليد الصعيدية البالية.

وجاء دور إقناع الأهل.. والذى لم يكن سهلاً بالطبع..

أذكر كلمات أمي عندما أعلنت لها عن رغبتي في الذهاب:

- البنات عندنا ما تسافرش لواحدها.

- لما تتجوزي ابقي سافري.

كنت أعلم مسبقًا أن الأمر ليس سهلاً.. وأن الطريق لن يكون مفروشًا بالورود والترحيب.. كان لا بد من التعنت بعض الشيء والإصرار والرفض.. لكني واجهت الرفض بعناد أكبر وإصرار أكثر.. قد يكون ذلك من قبيل التمرد على واقع فرض السيطرة والتمرد على روتين حياتي الجاد.. والذي اتسم دائمًا بالسخرية من كل شيء يجلب السرور والفرح.. وعلى الرغم من كل ذلك تمت الموافقة على مضض.. وحصلت على مرادي ومبتغاي.

وفي منتصف الليل كانت كل منا تحمل حقيبة صغيرة تحتوي فقط على بعض المأكولات والمشروبات وكاميرا للتصوير.. هذه الكاميرا الخربة التي أحرقت نصف الفيلم تقريبًا.. وأضاعت علينا أجمل اللحظات و أمتع الذكريات.

وبجوار كل منا أخ أو أب للاطمئنان على بنات الصعيد المتجهات إلى قاهرة المعز.. كان الليل هادئًا جدًا وجميل جدًا، لم نشعر ببرودة الشتاء القارس.. كانت غمرة الانتصار والفرح تنسينا أي شيء آخر.

انطلقنا وبداخلي نشوة الانتصار والتغلب على بعض الأفكار البالية والتقاليد المعقدة في مجتمعنا الصعيدي.. لم تغيرني تلك الرحلة كثيرًا.. ولا أذكر أني خرجت عن المألوف.. كان بداخلي سنوات طويلة من تقاليد الصعيد تمنعني أن أترك العنان لنفسي.. ولكنها كانت تجربة فريدة من نوعها.

أشتاق لتلك اللحظات المتمردة.. أريد عن أشعر بنشوة الانتصار مرة أخرى.. أريد أن أزيل عن كاهلي شبح الخضوع والاستسلام والخوف من القادم، أشتاق للحظات الحرية والسير بمفردي أتأمل الشوارع والمارة، أذوب في تفاصيل البشر، أنسى كوني أنثى تكبلني قيود أنوثتي، تحرمني من أبسط حقوقي، تحرمني من حقي في التنفُّس، ومن حقي في الحياة، لمجرد أنني

أنثى لا يملك وثاقها رجل ترى من خلاله الدنيا، ولا تتنفس نسمات الهواء إلا معه وبه..

فليكف إلى الآن ذكريات لن تعود، سوف أللم أوراقي وصوري وذكرياتي، وأنتظر أملاً قد يأتي ويحررني، وأنعم ولو للحظة أخرى بالحياة، وأتذوق طعم الحرية من جديد.

ما زال كما هو

هذا الطريق لا أحيد عنه مطلقًا، دائمًا ما أسلكه هو نفسه، ونادرًا ما أسعى إلى تغيره أو تبديله.. أكاد أجزم أنني لا أمر إلا منه.. في كل مرة أهم بالخروج من المنزل تقودني قدماي في اتجاهه، كأن قدماي حفظتا خطواتهما الثابتة عليه.. بيني وبين هذا الطريق دون غيره عشرة طويلة تزد عن العشرين عامًا تقريبًا.. منذ أدركت أني أستطيع السير بمفردي والذهاب إلى المدرسة دون معاونة أحد، وهو طريقي المعتاد.

في أول الطريق توجد مدرستي الابتدائية.. في الوسط تقع مدرستي الإعدادية.. وفي نهايته تقع مدرستي الثانوية.

وفي نفس هذا الطريق كنت أراهم من حين لآخر.. أصدقاء من مرحلة الطفولة المبكرة.. كانت نظرات سريعة بيننا، أجزم

بها أن لا أحد يتذكرني، وكيف يتذكرون هذه الفتاة الصغيرة ضئيلة الحجم، دائمًا ما أقنع نفسي بأنني تغيرت كثيرًا، تغيرت هيئتي وملامحي وشكلي، وأنني لم أعد تلك الطفلة الصغيرة ذات الشرائط البيضاء والضفائر المجدولة، سنوات العمر تركت آثارها على وجهي؛ فلم يعد أحد يعرف من أنا، أنا نفسي لم أعد أتذكر ملامحي أيام طفولتي، فكيف بهم هم.

ومن بين هؤلاء كان هو.. صديق من المدرسة الابتدائية.. أراه من حين إلى آخر، لم يتغير شكله كثيرًا عن ما كان عليه.. غير أنه ازاد فقط طولاً ووزنًا.. كلما رأيته تبادر سؤال إلى ذهني.. هل تغير عقله أيضًا؟ أم ظل كما هو؟

كان أبلهًا لدرجة تثير الحنق والغضب منه.. حتى أنني أتذكر أحد المرات هممت أنا وبعض الفتيات بضربه ضربًا مبرحًا بسبب بلاهته هذه.

اليوم رأيته قادم بعكس اتجاهي، يسير برفقة بعض أصدقائه، لم أبدِ اهتمامًا لي، أطرقت برأسي للأرض ومضيت في

سيري.. لكني كنت أشعر به يقترب باتجاهي، حتى أصبحنا تقريبًا على خط واحد، ولكن كل منا عكس اتجاه الآخر، عندها ارتفع صوته قليلاً ليهمس لي:

- ازيك يا ...

تعجَّبتُ كثيرًا من تصرفه هذا، ليس لجرأته في إلقاء التحية بمثل هذا الشكل، وبعد هذه السنوات الطويلة، وليس لأنه ما زال يتذكر اسمي ويتذكر من أنا.

لكن تعجبت لأنه ما زال كما هو.. أبلهًا.. لا يعقل ولا يدرك المواقف، ولا يقدر الأشياء حق قدرها.. كما هو بعقل طفل.

في هذه اللحظة عاد لذهني ذلك اليوم الذي برَّحته ضربًا منذ أكثر من عشر سنوات، وودت لو أستطيع ضربه مرة أخرى لعله يتخلص من هذه البلاهة والغباء المتغلغل بداخله.

عندما يأتي المساء

جلستُ كالمعتادة أمام التلفاز أتابع بملل قنوات الأطفال.. اليوم يعرض في التلفاز فيلم يحكي عن طفلة صغيرة تعيش في أسرة سعيدة.. كل يوم تجلس والدتها تقص عليها حكاية ما قبل النوم.. ثم تتطبع قبلة حانية على جبينها.. تحدثها باستمرار عن حكايا الأميرات الجميلات.. وتخبرها أنها عندما تكبر سوف تصبح مثلهن.. أميرة من أجمل الأميرات.. حتى تذهب في نوم عميق وهي تحلم بما سوف تصبح عليه عندما تكبر.

لماذا لا أذهب إلى أمي أطلب منها أن تأتي إلى غرفتي لتحكي لي حكاية من حكايا الأميرات؟

عندما طلبت منها ذلك لا أعلم لماذا غضبت مني ونهرتني بشدة وقالت:

– انس أيتها الطفلة الغبية عوالم الأطفال، هل تريدين سماع حكاية ما قبل النوم.. إليكِ واحدة.. سوف أحدثك عن أميرة الشقاء التي ابتلاها ربها بزواج تعيس وأطفال أغبياء.. ويوم يمر مثل بطء السحلفاة.. يبدأ بشقاء وينتهي بشقاء.. والآن اغربي عن وجهي أيتها الحمقاء.

ذهبت إلى غرفتي أبكي وأحتضن ألعابي.. عندما رأيته على باب الغرفة.. قال لي:

– لا تحزني يا صغيرتي.. لقد جئت لأقص عليكِ قصة المساء.. لو أعجبتكِ فسوف أقص عليكِ الكثير من الحكايات.. لكن بشرط. لا تخبري أمك بأني أحكي لكِ هذه الحكاية كل ليلة.

– إذن فسوف تحكي لي قصة الأميرة الحسناء.

ابتسم ابتسامة ماكرة وقال لي:

– لا.. سوف أحكي لكِ قصة الذئب والطفلة ذات الرداء.

وأصبحت قصتنا اليومية.. يلقيها على مسامعي كل ليلة عندما يذهب كل من في البيت إلى النوم.. كل ليلة أشعر به يتسلل ليصل إلى غرفتي.. كل ليلة يتملكني الرعب منه، أنا أكره هذه الحكاية.. لا

أريد أن أسمعها مرة أخرى.. تصيبني بأحلام سيئة وهواجس مخيفة تطاردني طوال اليوم حتى في يقظتي وبين ألعابي التي أصبحت أكرهها، اليوم رأتني أمي وأنا أضرب عروستي المفضلة وأنهرها حتى تمزقت.. ضربتني أمي وقالت:

– لن آتي لك بغيرها أيتها الغبية.

لم تعلم أمي أني أنقم من عروستي التي تشهد معي قصة الذئب والطفلة ذات الرداء كل ليلة، ولا تقف بجانبي للتدافع عني، تلك القصة التي لم أعرف لها نهاية أبدًا..

فهو لم يحكِ لي نهاية لقصته المتكررة أبدًا.. دائمًا ما يحدثني عن هجوم الذئب على الطفلة الصغيرة.. ولم يحدثني عن منقذ لها من أنيابه التي تنغرس بها كل ليلة.

اليوم قصت علينا معلمتي قصة الطفلة ذات الرداء الأحمر.. لكنها هذه المرة مختلفة عن قصتك التي تؤلمني كثيرًا.. أخيرًا علمت أن للذئب نهاية لا بد أن يقتله الصياد الطيب.. ولأول مرة منذ شهور عديدة أتحدث إلى معلمتي، سألتها من أين أستطيع الحصول على مثل هذا الصياد طيب القلب ليقتل الذئب الذي يأتي إلى غرفتي كل ليلة؟

ابتسمت معلمتي.. ولو تفهم ماذا أعني!

في الحصة التالية طلبت المعلمة من كل تلميذ أن يُخرِج دفتر أوراق الرسم، وأن يرسم نفسه ويرسم عائلته، ظلت تمدح كل الأطفال وتسألهم عن الأشخاص المرسومة على أوراق الرسم، ولكن لا أعلم لماذا انزعجت هكذا عندما رأت صورتي المرسومة، لقد رسمت قصة الذئب والطفلة ذات الرداء – فهي لا تغيب عن مخيلتي أبدًا، أمسكتني من يدي واحتضنتني بين يديها، وقالت لا بد لنا من حديث مع الأهل، وفي البيت جاءت أمي مسرعة بعد اتصال من معلمتي تطلب منها الحضور فورًا إلى المدرسة.. كنت أعلم أنها سوف تغضب.. فهي متعبة طوال اليوم في عملها الذي لا تستطيع أن تتركه ولو لحظات قليلة.. ومن بعده يأتي عملها في بيتنا المضطرب.

نهرتني أمي بعد انتهاء المحادثة مع المعلمة.. فهي لم تتحمل عناء الذهاب إليها لاقتناعها التام.. بأن الأمر لا يستحق.

– ماذا فعلتِ أيتها الطفلة الغبية؟ اذهبي الآن لغرفتك.

– لكن يا أمي لا أريد النوم الآن، هل أستطيع أن أنام بجانبك؟

لا أتلقَّى جوابًا منها غير أنها تتدلف إلى غرفتها وتغلق عليها

الباب.. أذهب إلى غرفتي.. أخبئ نفسي بداخل الخزانة.. حتى عندما يأتي ليقص حكايته المعتادة علي لا يراني.. ولكنه دائمًا ما ينجح في العثور عليّ، وتفشل محاولاتي المتكررة، حتى صرخاتي المتتالية لا توقظ أمي المتعبة من عناء الأيام، أنا أحبها، وأعلم أنها متعبة، ألتمس لها الأعذار.. لكن أتمنى أن تسمع صرخاتي في يوم من الأيام، أن تأتي إلى غرفتي وتجده وهو يقص علي قصته المؤلمة.. تنهره وتخرجه من غرفتي وتخبرني بأن حكايته انتهت، وأن الذئب قتله الصياد الطيب، ولم يعد بعد الآن يأتي للطفلة المسكينة ذات الرداء.

الآن وبعد مرور السنين أبحث فيها بين البشر عن الصياد طيب القلب، أصابني اليأس، فكل من حولي الآن ذئاب، واختفى الصياد، وبدأت أصدق أن قصتك هي الحقيقة، وأن قصة معلمتي التي قصتها علي منذ سنوات ما هي إلا قصة خرافية لا تعلم هي حقيقة الأمر أبدًا كيف يكون، أنا الآن أعلم جيدًا حقيقة الأمر، فهناك الكثير مثلي ومثل الطفلة ذات الرداء كبرت وكبر معها الوحش، والذي ما زال يهددها كل ليلة عندما يأتي المساء.

الموعود

لقد أصبحت مؤخرًا تشعر ببعض الأعراض الغريبة تجتاح كيانها، حاولت أن تكذّب ذلك الإحساس الذي ينبهها إلى أنها أخيرًا حصلت على مبتغاها، أخيرًا حصلت على ما كانت تتمناه طول سنوات عمرها المتلاحقة بلا أمل، هذا الحلم الذي تتمناه كل أنثى، وتحلم به منذ دخولها بوابة عالم النساء.

عندها ترتسم ابتسامة خافتة على قلبها قبل أن تظهر على شفتيها، لتتذكر سريعًا أنها بين جموع البشر، لا بد أن تتمالك نفسها بعض الشيء أمام الآخرين، ما بها لا يقبله جموع البشر، فهو محرم في مجتمعنا الشرقي، فلا أحد يعلم ما حل بها في هذه الشهور القليلة، لماذا تغيرات هكذا وأصبحت مختلفة عن ما كانت عليه ما قبل.

وأخيرًا قررت استشارة إحدى صديقاتها المقربات ذوات الخبرة في مثل هذه الأمور، ربما تشعر به يتحرك بداخلها،

فهذه أول مرة تشعر بهذه الأعراض التي تجتاحها ليل نهار، مثل فترة طويلة لتتحول شكوكها إلى واقع ملموس، إنها أصبحت في غفلة منها، تحمل شيئًا يتحرك بداخلها.

تملّكتها فرحة غامرة، وهامت في سماء الأحلام، ترسم من أحلامها ما تشاء وتتمنى تحقيقه مع والد هذا الشيء الكائن بداخلها، عندما أعادتها صديقتها إلى عالم الواقع.

– لا بد أن تخبريه.. والآن.

تلاشت الابتسامة، ليحل مكانها حيرة ونظرة أسى عميقة وهي تردد:

– كيف أخبره؟ لا أستطيع.. لا أمتلك الجرأة لأخبره بذلك.

– إذن الزمي الصمت.. تنتظرين منه أن يكتشف بنفسه ما حل بك! إذن أنت تحلمين.

طوال الليل لم تنم، هل ما تقوله صديقتها حق؟ هل تخبره أم تنتظر أن يبادر هو؟ أن يأتي إليها بنفسه ليطلب أن

يكون أبًا شرعيًّا لما بداخلها يتحرك، فلا بد أنه يشعر بما تشعر به، ولكن كيف يشعر وهي تحاول جاهدة إخفاء ما بها عنه؟

– آه لو أستطيع أن أخبره بأني أحمل حبه بين أحشائي؟!

ومع مرور الأيام بدأت تخاف من ظهور علامات حملها بهذا الشيء، بدأت تخاف أن يفتضح أمرها أمام العالم أجمع، وأمامه هو بالأخص، فكيف تخفي خبرًا في مثل في وضوح شمس النهار؟

ليالٍ طوال قضَّ النوم مضجعها، تصارعها الأفكار والهواجس كل ليلة، وأخيرًا جاء القرار..

– سوف أخبره غدًا بكل شيء، غدًا سوف أحصل منه على الكلمة التي انتظرتها طويلاً، سنوات وأنا في انتظارها، ربما لم يمتلك الجراءة هو الآخر ليصارحني بها..

إنه دائمًا ما يلقي على مسامعها هذه الكلمات العذبة..

– أنتِ حقًّا ملاك من السماء أرسله الله لي.. أتمنى من الله ألا يحرمني لحظة من وجودك بجانبي...

لم تستطع النوم بالطبع، ظلت تعيش في عالم الذكريات، كيف عرفته، كيف كان أول لقاء بينهما، كيف يفهمهما وتفهمه من دون أن يتكلما، وكيف كان كل واحد منهما مستودع أسرار الآخر، كيف كان مرشدها ومستشارها في كل أمور حياتها، وهي كذلك كانت له نعم الصديقة، كيف كان الملجأ الدائم في أوقات الشدة، وكيف كان يخفف من حالات الأسى والحزن اللذين يصيبانها باستمرار بابتسامته الساحرة ونظراته الحانية.

– نعم.. ابتسامته الساحرة.. تلك التي أسقطتني في بحور عشقه حتى اكتمل حملي منه...

جاء صوت رنين الهاتف ليقطع عليها عجلة الأفكار والذكريات برأسها، إنه هو بالطبع.. كانت محادثة مقتضبة.. أخبرها بأنه يريد أن يراها غدًا.. لديه خبر سعيد في انتظارها.

أحقًّا ما أسمعه؟! ما الخبر السعيد الذي يتشوق أن يلقيه على مسامعي؟ أحقًّا يكون ما تمنيت أن أسمعه منه طول هذه السنوات؟ هل شعر بما أحويه بين أحشائي أخيرًا؟

نعم بالطبع.. هذا ما يريدني ليخبرني به، لكن كيف وأنا أحاول إخفاءه عنه؟ من الواضح أني لم أبذل جهدًا أكبر في إخفاء ما بداخلي، لماذا أشغل نفسي من الآن بالتفكير المستمر؟ ساعات قليلة وأعلم كل شيء، لكن يا لها من ساعات تمر كأنها أشهر طويلة!

وفي مكان لقاءهما المعتاد جلست في انتظاره.. عينها معلقة على الساعة.. تحدث نفسها..

- لا أعلم لماذا تأخر هكذا، لا.. إنه لم يتاخر.. أنا من أسرعت في القدوم مبكرًا عن موعدنا المتفق عليه.

بضع دقائق مرت كالساعات قبل أن يظهر أمام عينيها قادمًا من بعيد.. ولكن لم يكن وحده هذه المرة.

كان بجانبه فتاة بارعة الجمال، والفرحة التي بعينيها تزيدها بهاء وإشراقًا.. يشابك يديه بيديها.

ألجمتها الصدمة، ولم تعِ كم من الوقت مر حتى جاء وألقى عليها التحية، وكيف بادر بتعريف تلك الفتاة الجميلة

بها، ولم تفق إلا على كلماته الموجهة إليها، وعينيه معلقة بعين فتاته الحسناء:

- أما هذه الفتاة الجميلة فإنها...

- لا تكمل.. أنا أعلم من هي.. إنها هي من منحتك معنى الحياة.. هي من جعلت قلبك منبعًا للحنان الذي يفيض من عينيك، إنها هي من أضاف هذه الابتسامة الساحرة على شفتيك، إنها هي الأخرى حملت منك، ولكن حملها هذا ليس مثل حملي حمل سفاح.. إن حملها شرعي في العلن يعلم به كل البشر، وسوف تتبناه، إنه مولودك الذي انتظرتَه سنوات طوال، تريده الآن ليولد ويكبر أمام ناظريك.

الآن علمت ما الخبر السعيد الذي أردت أن تخبرني به.. لقد جئت لتخبرني -أنا صديقتك المفضلة- عن حبيبة قلبك الشرعية.

وهناك في غرفتها، وبعيدًا عن جميع البشر، قررت إجهاض حملها، إنه التوقيت المناسب الآن لإنهاء شهور من

المعاناة والآلم المتكرر والمتلاحق على مر الأيام، لكم كان حملاً أثقل كاهلها وأضعف إرادتها، وجعلها أوهن من أن تستطيع على الوقوف على قدميها.

حاولت مرارًا وتكرارًا.. كل يوم تعاود المحاولة.. ولكنها تفشل في كل مرة، ما زال متشبثًا بها رافضًا لفكرة الموت.

- لماذا أنت هكذا عنيد؟ أنا لا أريدك بداخلي بعد الآن.

لا.. لا.. أنا أكذب.. بل أريدك بشدة.. فأنت طفلي البكر.. أتعلم أن أجمل لحظات عمر الأنثى عندما تعلم بخبر حبها الأول والأوحد.. لكن لا أريدك حبًا لقيطًا تحيا دروب الحياة تلطمك أمواج الدنيا.

لا تحزن يا صغيري.. فلن أنساك.. سوف أصنع لك ضريحاً من رخام بداخل قلبي.. منقوشًا عليه بماء الذهب: "هنا يرقد حبي الموءود.. ادعوا له بالرحمة.. لعله ينعم في قبره بالسكينة والخلود"..

وجلست بعد ذلك تبكي على حبها الموءود..

النشر لمن يستحق

اغتصاب

" رحيل ملاك "

في إحدى زوايا الغرفة المظلمة المنعزلة في ذلك المنزل المتواضع، تقبع هي متكورة على نفسها مثل سلحفاة تزحف بداخل صدفتها خوفًا من العالم المحيط.. تنكمش على نفسها.. في ظن واهم بأنها كلما تكورت على نفسها قد تنكمش حتى تتلاشى تمامًا عن هذا العالم.. تلملم أطراف ثوبها لتغطي روحها العارية.. ترفع رأسها عن صدرها لتلمح عبرات تنساب على وجنتيها في صمت قاتل.. نظرات زائغة من عينيها اللتين تجوبان زوايا الغرفة الضيقة.. حتى تراه واقفًا هناك.. تريد أن تطلق صرخاتها التي تهز أركان قلبها وعقلها.. ولكن لا تستطيع.. فصرخات الكون لن تعبر عن ما يعتصر كيانها في تلك اللحظة..

وهناك على الجانب الآخر من الغرفة يجلس هو.. شبح مخيف يعلو وجهه المرعب ابتسامة شامتة.. ما تلبث أن تتحول إلى ضحكات هستيرية..

نظرتها تستنجد به لكي يرحل.. "فليكفِك ما حدث.. فلترحل الآن.. لقد نلت مني ما تريد.. لماذا ما زالت هنا؟"

لكنه يأبى الرحيل حتى يشهد آخر لحظات انهيارها على يديه.. فذلك يزيده زهوًا وفرحًا بالانتصار.. يقترب منها ويبادرها بالحديث:

- عزيزتي.. لماذا الندم والحزن.. ما حدث قد حدث.. ولن يفلح الندم بعد الآن..

ألستِ أنتِ من تمنَّت لقائي.. لكم راودتِني عن نفسك.. وكم من مرة هممتِ بي..

ما أنا إلا محقق لرغباتك الجامحة بداخلك.. لا تلوميني على فعلتي بك..

أتذكرين كيف التقينا تلك الليلة البعيدة.. عندما تملَّكتك الأفكار الشيطانية.. سمعتِ عني كثيرًا.. وكان قرارك أن تخوضي التجربة..

أنتِ من استحضرتني وجعلتني ضيفًا على غرفتك.. أنتِ من

تفننتِ في طقوس استحضاري بمهارة فائقة.. أنتِ أغريتني بشتَّى الطرق والوسائل كي آتي لكِ.. وكم تمنَّعتِ وأنتِ راغبة عني في دلال باهر.

الآن أصبحتِ لي.. فأنا قدرك وأنتِ قدري، أننا خلقنا لنحيا معًا.. لأحيا داخل نفسك ووجدانك..

وهنا يرتدي عباءته السوداء ويهم بالرحيل.. ليتوقف ليلقي عليها تحية الوداع..

- عزيزتي.. حان الرحيل.. لقد انتهت مهمتي الآن.. سوف أجوب طرقات الظلام لأبحث عن غيرك.. فمثلك الكثير مما يتمنون لقائي.. ولكن لن أنساكِ.. سوف أزورك من حين لآخر.. فأنتِ الآن ملك يميني كلما هفت نفسك لي.. فسوف أكون حاضر هنا.. فمثلي لا يُنسى أبدًا.. لكن اعلمي أن لكِ مكانة عزيزة في قلبي، لقد عذبتِني شهورًا طويلة كي أنال منكِ.. والآن انتهت آمالك وأحلامك وطموحاتك.. أنتِ الآن ميتة في عالم الأحياء.. سوف يلفظك كل البشر.. فمن يريد أن

يقترب منك وأنت ملطخة بالإثم والخطيئة؟!

ثم يطلق ضحكاته الشيطانية ويتراقص مثل بهلوان على حبل رفيع يستعرض رشاقة خطواته، يتبختر مزهوًّا بنفسه وبانتصاره..

- هذا أنا.. أمير الظلام.. أنا سالب الطموح والآمال.. أنا مغتصب أرواح البشر.. مدمر لكل كيان.. أستعير كل يوم لى اسمًا وشكلاً جديدين.. فأنا مبتكر في أساليب خداعي وإيقاعي للبشر.. وتختلف الأسماء والأشكال.. والنهاية واحدة.. أنا الملل.. أنا اليأس.. أنا الاستسلام..

لا تحزني لاغتصابي لروحك النابضة.. فأنا أحيا على امتصاص آمال الآخرين وأحلامهم.. فلستِ وحدك التي فقدت عفة روحها.. فمثلك الكثير.. وسوف يأتي الأكثر.. فلن أتوقف أبدًا.. أنا أكون رهن إشارة كل من تهفو نفسه إلي..

يختفي عن عينيها.. وصوت ضحكاته بداخل أذنها لا تستطيع إيقافه.. تتناول علبة أقراص الدواء المهدئ بجانبها

لتبتلع كل ما بها.. وعلى شفتيها كلمات ترددها..

– ماذا تبقَّى لي بعد اغتصاب الروح؟

انفراط حبات اللؤلؤ

" رحيل ملاك "

لا أتذكَّر جيدًا منذ متى بدأت إتقان هذه الهواية، ومنذ متى أصبحت هي سبب سعادتي وسروري في هذه الدنيا، ولكن ما أتذكره جيدًا أنني لجأت إليها عندما أوصدت أمامي كل الأبواب المفتَّحة.. في فترة كنت أحيا بين جدارن الوحدة واليأس.

كنت أتمنى أن أجد شيئًا ذا معنى أو قيمة لحياتي، أن أختلف وأن أتميز عن ملايين البشر بها.. وكان يقيني بأن الله يهب كل فرد منا سمة مميزة في شخصيته.. حتى لو كانت شخصيته تحفل بعشرات العيوب.. يبقى بداخله شيء جميل يمده بالأمل في الحياة.

هوايتي كانت فريدة.. متمثلة في جمع حبات اللؤلؤ الأبيض من داخل الأصداف التي تختبئ في بحور الدنيا.. تعلمتُ الغوص جيدًا.. وأتقنت التنقيب بداخل الأصداف.. أصبحت

خبيرة في معرفة ما تحويه كل صدفة حتى قبل كسرها.. أصبحت أعلم جيدًا هل هذه الصدفة تحمل بداخل لؤلؤة نقية؟ هل تستحق حقًّا عناء البحث والتنقيب؟

وبمرور الوقت أيقنت أن هذه هي السمة المميزة لي في هذه الدنيا، والتي أنعم الله عليَّ بها، سنوات وسنوات بحثت هنا وهناك، صادفت عشرات الصدفات، اقتحمت جدران الصدف، تعلمت كيف أكسرها برفق، كيف أحافظ على قلبها اللؤلؤي، حتى أصبحت تنكسر بيدي بدون مشقة ولا عناء، وكانت حصيلتي بعد هذه الأعوام الطوال بضع صدفات، هي كل ما أملك، وأثمن ما أملك، كُنَّ مؤنسي ورفيقي وأنيسي في سبيلي وطريقي.

لحظات كثيرة كان يصيبني القلق والخوف من فقدانهن وضياعهن من بين يدي، وكان قراري بجعلهن عقدًا في عنقي، أحملهن في كل مكان، حتى جاء اليوم وتهامس الناس في خجل، وقيل إن هوايتي هذه محرَّمة، وقد تكون سببًا في وقوفي على أبواب الجحيم.

أصبح عقدي كسوار من نار يلتف حول عنقي، يكاد يُزهق روحي، أصبح يضيق على عنقي أكثر فأكثر.. ضاق صدري.. غاب عقلي.. لم أتمهَّل حتى في انتزاعه.. فليس هناك وقت للتمهُّل في هذه اللحظة، جذبته في قسوة وطرحته أرضًا.. تمزَّق الخيط.. تفلَّت العقد.. انفرطت حبات اللؤلؤ.

لحظات تمر ببطء.. ثم ساعات.. وما زال شعوري بأنني أختنق لا يزال قابعًا بداخلي.. بل هو في ازدياد.. عندها أدركت أن حبات اللؤلؤ لم تكن سبب اختناق صدري.. بل ضآلة فكري وقصور عقلي وتغييبه في الظلمات.. نظرت أرضًا لجمع حباتي المتناثرة مرة أخرى.. لكن كان الوقت قد مضى.. فكيف لأحمق أن يبكي على ما ضاع منه.. حقًّا لقد اشتقت لحبات اللؤلؤ.. اشتقت لحبات عقدي النقية.

النشر لمن يستحق

حكاية كل حارة

" رحيل ملاك "

دائمًا أراه متخذًا أول الحارة موطنًا لفرض سيطرته ونفوذه من خلال هذا الموقع.. دائمًا يتعمد إيذاء جميع المارة على السواء.. لا يفرق بين شيخ مسن ولا طفل صغير.. لا بين شاب وفتاة.. ولا سيدة وعجوز.

هكذا هو منذ نشأته في هذا المكان.. هو مصدر متجسد لإيذاء الآخرين.. يتواجد بصفة مستمرة في ذلك المكان.. فهو مجلسه الدائم وركنه المفضل.. اتخذه عنوة وغصبًا دون موافقة أي إنسان يعيش في حارتنا المتواضعة.. منذ أن بادر شخص ما بابتلائنا به منذ سنوات طويلة.. عندما لم يجد له مكانًا أو ملاذًا آخر غير هذا المكان ليقيم به..

في بادئ الأمر كان يسارع بعض الرجال الأشداء بمحاولة

تنحيته عن هذا المكان؛ لما يسببه لنا من أذى نفسي ومعنوي وجسدي بشكل مستمر لكل من يمر بجانبه، لكن كل المحاولات باءت بالفشل، فما يلبث أن يعود في بضع ساعات قليلة، وذلك بفضل قلة قليلة مندسة من البشر تعيش في تلك الحارة، تشجعه كل يوم، بل كل لحظة، فلا يتركونه لحظة وحيدًا بمفرده، إنما يتعمدون تغذيته بشكل مستمر بكل ما لذ وطاب؛ ليزداد شراسة أكثر وأكثر عن اليوم الذي كان قبله.

أما عن منظره فهو مقزز لأبعد الحدود، يثير اشمئزاز كل من يمر بجانبه، يرتدي مهرجانًا حافلاً من الألوان المتنوعة، فهو يصنع تلوثًا بصريًا لكل من يمر بجانبه، وفي نفس الوقت لا تستطيع تحمُّل رائحته الكريهة المهيِّجة للمعدة، ما إن تمر بجانبه بضع لحظات قليلة حتى تريد أن تفرغ كل ما في معدتك لمنظر هذه القذارة المتفرد بها عن سائر أقرانه.

تراه في الصباح الباكر يستقبل المارين، إما ينتظر من يطعمه في هذا الوقت بعيدًا عن أعين الرقباء، خوفًا من بطش

المدافعين عن الشارع المسكين الذي ابتُلي بهذا الوباء المثير للاشمئزاز، أو ليتصارع مع المعارضين له في محاولة تنحيته عن الشارع ولو لمكان آخر بعيد، ولكن كل هذه المحاولات تبوء بالفشل، يكون في قمة نشاطه الإيذائي في فترة الظهيرة، مع بداية تحامد الشمس عليه، حيث تصبح رؤيته أوضح؛ فهو يعشق الجلوس تحت شمس الظهيرة الحارقة؛ لأنه يعلم جيدًا أن الشمس تبرز أسوأ مساوئه لكل من يمر بجانبه.

علاقتي به بدأت منذ فترة طويلة، عندما رأيتُه أول مرة، اتخذ بداية حارتنا المتواضعة مكانًا أو وكرًا، ليكون له سكنًا وملأوى، يمارس من خلال هذا الموقع الاستراتيجي المتميز كل أنواع القهر والمضايقة والاستفزاز لجموع البشر المغلوبة على أمرها، التي سمحت له بأن يقوى ويصعب كسر شوكته بهذه الطريقة، بسلبيتهم واستسلامهم له، ومحاولتهم تسفيه محاولاتنا المستميتة في زحزحته عن هذا المكان، بالحيلة مرة وبالقوة مرات أخرى، لم يكن قد وصل بعد لهذه المرحلة

المتدهورة من السوء، كنت مشفقة عليه منذ النظرة الأولى، فهو بالطبع لم يُخلق ليصبح مصدر شر للبشر بهذا الشكل الفريد من نوعه، وفي قرارة نفسي قناعة تامة بأنه سوف يصبح أكثر عدائية، وأكثر انحدارًا وتدنيًا لما سوف يلاقيه من تشجيع في هذه الحارة البائسة، التي ابتلاها الله بأسوأ ابتلاء، ألا وهو الجهل التام، حقًا صورة حية لانعدام الوعي والثقافة والتطلُّع نحو التغيير للأفضل.

كل يوم أنظر إليه خلسة لأراقب آخر تطورات وضعه، وإلى أي حد وصل به الحال، وكانت الصاعقة.. التدهور يزداد معدله عن اليوم الذي قبله بصورة كبيرة جدًا، لاحظ هو أنني أختلس النظر إليه من حين لآخر، فبادرني بنظرات لم أفهم فحواها إلا بعد أيام، كما لاحظ أن علاقتي به منعدمة، فأنا لم أبادر ولو مرة بالاقتراب منه حتى، ولا محاولة الاحتكاك به، أتذكَّر مرات كثيرة تتطلب مني أمي الذهاب إلى هناك، ولكني كنت أرفض بشدة، مكانتي الاجتماعية لا تسمح بذلك بالطبع،

من الأفضل أن تجد غيري يذهب إلى هناك، شعرت بأنه يتوعدني بشيء قريب سوف يفاجئني به، أصابني الرعب، فأنا لا أستطيع حتى رؤية منظره المقزز هذا المثير للاشمئزاز.

وفي الأيام المتعاقبة وجدته يقترب مني باستمرار.. يحاول مضايقتي بشكل متعمَّد.. حتى إنه انتقل عن موضعه الأصلي إلى أماكن أخرى ليحتلها، أصبحت لا أستطيع المرور في محاولات خروجي ودخولي لأصل إلى البيت كل يوم إلا وأصاب ببعض مضايقاته، مرات بنظراته المجرمة في اتجاهي، أو يزكم أنفي برائحته الكريهة، ومرات أخرى محاولة لمس أطراف ثوبي ليصاب ثوبي المسكين ببعض قذارته، أصبح يعلم مدى كرهي له، ألقي عليه وابلاً من الشتائم والسب كل يوم أثناء مروري محاولة تفاديه.

لم تقتصر حقارته عند هذا الحد فقط، بل تجاوز حدوده مع صديقتي المفضلة عندما كانت في زيارة لبيتي، وعندما قررت العودة لبيتها اعترض طريق عودتها، بدأت أفتح فمي في محاولة

نهره وسبه إذا تعدى الأمر ذلك، عندما قالت صديقتي:

- الحل أن تقدمي ضده بلاغًا إلى السلطات المختصة وهي تقضي عليه وعلى من كان مثله في جميع شوارعنا التي ابتُليت بالكثير والكثير بمثل هذه الأشكال المقززة.

صديقتي تحلم.. كيف يحدث ذلك؟ هل السلطات المختصة سوف تستمع لكل شكوى يقوم بها المواطنون ليطلبوا منهم القضاء على وحوش من صنع أيدينا؟ في الأصل نحن من تركنا لهم الفرصة لينمو ويكبروا يتعرعروا في شوارعنا وداخل بيوتنا، تبدأ الأزمة صغيرة ثم تستفحل حتى تصبح شيئًا طبيعيًّا نعتاد عليه، وترى الناس في مختلف الشوارع تمد لهذه الأشكال يد العون.

لا حل لهذه الأزمة غير المواجهة والتكاتف للقضاء عليه، وكانت حملة تجميع شباب وأطفال وجميع من بالحارة لنتكاتف على صد هذا الوحش المقزز، كل منا ذهب إلى بيته يأتي بكل ما تتطوله يده من مكانس ومقشات وأكياس بلاستيكية.. وتوجهنا باتجاهه.. وما إن رآنا حتى ارتعب.. أدرك أنها نهايته فعلاً قد

حانت.. حاول أن يصارع ويقاوم، وفي خلال ساعات قليلة تخلصت حارتنا منه، ولكن للأسف ليس إلى الأبد..

ما هي إلا دقائق حتى جاء طفل صغير أبله، وألقى كيسًا بيديه خارج صندوق القمامة الحديدي، ليظهر الوحش المقزز مرة أخرى..

بذرة أمل

عندما يتوقف المطر عن النزول من جوف السماء إلى باطن الأرض المتلهفة للماء والمتعطشة للحياة، يصيب الأرض البوار، وتصبح صحراء قاحلة جرداء لا ماء.. لا زرع.. لا أثر أو وجه من أوجه الحياة.

تفقد الأرض خصوبتها، تكون بلا فائدة ولا طائل منها، وبدلاً من أن تكون سببًا في إحياء جموع البشر التي تقيم عليها، تصبح سببًا في هلاكهم جميعًا.

عندئذ يلوذ الجميع بالفرار، يهرب كل فرد بحياته إلى موضع آخر، ومكان آخر تدب فيه الحياة، ليكملوا حياتهم المتبقية بعيدًا عن أرضهم، تاركينها وراءهم، هذه الأرض الشؤم الملعونة بداء الجفاف والفقر.

تترك وحيدة تلفحها أشعة الشمس النارية.. الحارقة.. وتأبى الشمس أن تغادر كبد السماء، وكأن الوقت قد توقف، ولم يعد في غروب الشمس أو حتى تواريها لبضع لحظات أمل.

تهب الريح صرصرًا عاتية من كل اتجاه، تقتلع كل ما يرسو على سطح الأرض لتصبح خاوية على عروشها، وكلما مر عليها نفر من البشر قال:

- أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها؟

هكذا القلب.. في لحظة قد يصيبه الجفاف والقسوة.. ينقطع عنه مدد الحياة المستمد من الحب.. التفاؤل.. والأمل.. يتحول القلب لحجر صلد لا يلين مطلقًا أمام أي موقف أو ظرف.. يتوقف نبضه.. وتجف ينابيعه.. وبدلاً من أن يكون ملاذًا ومأوى يصبح سببًا للهلاك.. يهرب منه الجميع.. ويُترك لينزف الدماء من مرارة الوحدة..

والحزن على الماضي الذي كان.. يصبح في مهب الريح.. ينحت كما تنحت الحجارة.. ويتفتت بفعل الجفاف.. ويصبح

ذرات تراب تذروه الرياح.

لكن هناك على أطراف القلب بذرة ما زالت في باطنه.. تتشبث بالحياة.. وتصارع لتحيا.. هذه البذرة بذرة الأمل.. وبها سوف يستعيد القلب روحه.. سوف يحيا من جديد.. سوف يدب فيه النبض من جديد.. ستعود للشرايين نبضها وتتدفق دماؤها.. سوف تحيي بذرة الأمل القلب من جديد.. فالله القادر على أن يحيي الأرض بعد موتها.. قادر على أن يحيي القلوب أيضًا.

كل منا حياته حافلة بالأحداث والمواقف والظروف التي تجعل حياته قصة أو رواية مستقلة بحد ذاتها عن غيره من البشر، قد تتشابه التفاصيل الكبيرة، ولكن تبقى بعض التفاصيل الصغيرة التي تميز حياتنا عن الآخرين.

وهكذا هي حياتي.. قد لا تختلف حياتي كثيرًا عن حيوات الملايين من الفتيات.. فأسلوب الحياة قد يكون واحدًا.. وقد تكون همومنا ومشاكلنا واحدة.. حتى الوجوه التي نصادفها كل يوم قد تتشابه، إنما حياتي منذ الصغر أراها أمامي دائمًا كشريط سينمائي لفيلم ممل ورتيب جدًا، أحداثه محفوظة ومكررة مثل الأفلام العربية تمامًا، التي تتسم بالتكرار وعدم التجديد.

تمنيت كثيرًا أن تصبح حياتي مثل أحد أفلام هوليود مليئة بالإثارة والمغامرات، كل فيلم نخرج منه بوجهة نظر جديدة ومختلفة، حتى لو كانت القصة واحدة والأحداث واحدة، تمنيت كثيرًا أن تصبح حياتي كذلك، لا تختلف عن الآخرين اختلافًا كليًا، وإنما اختلاف بسيط يميزني عن غيري.

لا أريد أن تصبح حياتي شاذة عن أعراف المجتمع وعاداته وتقاليده، وإنما أريد إضافة بعض الإثارة لحياتي التي تشبه وجبة طعام شهية لمن ينظر إليها من بعيد، يتمنى أن يحيا مثلي، أن يصبح مثلي، ولكن عندما يهم بالتهام أول معلقة منها، يكتشف أنها ينقصها الكثير من الملح.

لا أريد أن أصبح عادية، ولا أريد أن أكون متميزة جدًا، لكن أريد بعض التميز، فبعض التميز لن يضر..

النشر لمن يستحق

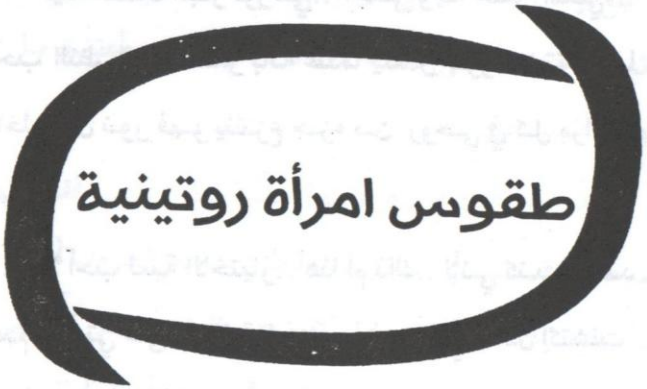

" رحيل ملاك "

ليلة اكتمال البدر تؤرقني.. أخشى وجه القمر المضيء.. لا أحب النظر إليه.. أشعر بأنه عندما يكتمل نوره ينتقص ما بداخلي من نور فهو ينتزع جزء من روحي في كل مراحل اكتماله..

لا أحب لعبة الاختيار.. هذا أم ذاك.. لأني كنت أعتقد في عدم مقدرتي على اتخاذ قرار سريع في حياتي.. الآن أكتشفت أني بطبعي أعشق الطمع.. أريد لنفسي كل شيء.. ومن منا لا يعشق أنانيته..

أتقنت لعبة الإنصات معهم.. أصبحت ماهرة لدرجة تجعلني أنصت ليل نهار دون أن أنبس بكلمة.. ودون أن أعي كلمة أيضًا..

أوشكت أن أصير صنمًا.. يهرع الناس إليه وهو لا يجلب ضرًا ولا نفعًا لنفسه، فكيف يجلبه للآخرين.. أريد فأس إبراهيم لأحطِّم به نفسي..

إني أحمل الحب بثقله وأجزي بمثله.. وإني لأرى قلبي قد أينع وحان قطافه.. على الرغم من ذلك ما زلت في ريبة منه.. كأنه دين جديد أخشى اعتناقه أعتقد لأنّني ما زلت أعتنق ما وجدت عليه آبائي..

أصبحت أشك في مدى فاعلية حاسة التذوق لدي.. فقهوتي أصبحت مرة.. قدحي المفضل من الشاي ساعة الغروب أصبح مرًّا.. وجوه الناس من حولي تلونت بالمرار.. حتى كلماتي أصابتها العدوى أصبحت لا تقطر إلا مرًّا.. أعتقد أن هذا نتيجة حتمية لسنوات من تذوق طعم الوطن المر..

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي لله رب العالمين.. كثيرًا يرددها اللسان، والقلب كاذب، ما زال يجلب الأنداد ليكونوا شركاء في حب خالقه..

صلوات.. ودعوات.. ومحاريب هنا وهناك.. صدقات توزع في كل خطوة أخطوها.. قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار.. لسان يلهج بالاستغفار لعل الله يغفر لي ذنبًا يؤرقني.. فذنوبنا منهمرة كالمطر تمحو كل ما نحاول أن نبنيه بيننا وبين الله..

كلماتي المنمقة مستقرة في غياهب الجب بجوار يوسف الصديق.. يوسف التقطه بعض السيارة.. أما كلماتي فما زالت غريقة لا تجد من يلتقطها.. أعتقد لأنها كلمات تفتقر إلى الصدق..

وفي النهاية لا زلت أمارس طقوسي الروتنية بكل اقتدار.. فعذرًا.. ما زلت واحدة من هؤلاء البشر الذين لا يتعلمون من أخطائهم..

الفهرس

مقدمة الناشر 5
إهـــداء 7
مولد أنثى 9
ألاعيب امرأة 13
قلب هواه محرَّم 17
خارطة الطريق إلى قلبي 21
شكوك أنثى 25
رقصة التانجو 31
رحيل ملاك 38
قديستي.. أحبك 45
بحر الحب 51
نظرة لؤم 55

التي تخاف ذكرى مولدها 59
الانتظار 65
أريدك 71
الحب الصامت 75
لحظات التمرد 81
ما زال كما هو 87
عندما ياتي المساء 91
الموعود 97
اغتصاب 105
انفراط حبات اللؤلؤ 111
حكاية كل حارة 115
بذرة أمل 123
بعض التميُّز لن يضر 128
طقوس امرأة روتينية 131

نبذة عن المؤلف

- آيات مختار احمد

- مواليد ١٩٨٧ محافظة اسيوط

- خريجة كلية التربية عام ٢٠٠٧

- مختار صاحبة مدونة أحاسيس آيوشه " http://ayoshaa2.blogspot.com/ "

- لي مجموعة قصصية صادرة عن دا ليلى " كيان كورب "باسم " رحيل ملاك "
قد يرها البعض خواطر اكثر من قصص قصيرة وقد يحبها البعض ويكرهها اخرون لكنى احببتها لانها تحمل كثير من مشاعرى الصادقة "

- لى كتاب الألكترونى باسم " شذرات من القلب " يضم بعض الجمل الصغيرة التى قمت باضافتها على موقع الفيسبوك خلال السنة الماضية

للتواصل مع الكاتبة :-

الايميل

ayatmoktar@yahoo.com

الصفحة الشخصية على الفيسبوك

www.facebook.com/ahasys.aywsha

صفحة الكتاب على الفيسبوك

www.facebook.com/rajilmalak

صفحة الكتاب على جودريدرز

www.goodreads.com/book/show/11836519